الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي


جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قســم: التفسير وعلوم القرآن


الرقم التسلسلي: ..... /2009

رقم التسجيل:.....

# السياق القرآني ودلالته في التفسير

*مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن*


إعداد الطالب: العربي نقوب

إشراف الأستاذ: د. رمضان يخلف


| أمام اللجنة | الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة الأصلية |
|---|---|---|---|
| الرئيس: | د. صونيا وافق | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر |
| المشرف: | د. رمضان يخلف | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر |
| العضو: | د. ذهبية بورويس | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر |
| العضو: | د. هلال خزاري | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر |

السنة الجامعية: 1430-1431هـ/2009-2010 م

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز للعلوم الإسلامية

# الإهداء

إلى من سقتني العطف والحنان ..... أمي.

إلى من علمني العزه والسير دوما في صبر ..... أبي.

إلى التي سكنت إليها النفس مودة ورحمة ..... زوجتي نعيمة.

إلى بسمتي الحياة ومهجتي النفس وقرة العينين ..... ولدي سعد وأحمد.

إلى من صاحبته على طريق الصلاح دهرا فكان خير مرشد ومعين، إلى من كانت حياته أملا أنار لي حياتي، وموته ألما جرت له عبراتي، إلى روح أخي في الله وحبيبي السعيد رحمة الله عليه.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى أبناء منارة العلم جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.
إلى أبناء الجامعة الإسلامية بغزة بفلسطين.

أهدي ثمرة جهدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# شكر و تقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذ المشرف الدكتور رمضان بخلفه إذ قبل الإشراف على البحث وأعطى من وقته الثمين، واعتنى بالتصحيح ولم يبخل بالتوجيه.

السادة أعضاء اللجنة المناقشة إذ قبلوا مناقشة البحث وإبداء التوجيهات.

الأستاذين: الدكتور أبو بكر كافي والدكتور مختار نصيرة.

زوجتي الكريمة التي شجعتني ودفعتني إلى الاجتهاد والمواصلة.

الأستاذ إبراهيم تواتي مدير المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية سيدي عبد الرحمن اليلولي -ولاية تيزي وزو- على ماقدمه من تسهيلات وإمكانات مادية.

عاملات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر خاصة: السيدة حليمة، سمية، ثريا، صبرينة.

السيدة شبيلة صاحبة مكتب صناع الحياة للإعلام الآلي وزوجها كاتيب.

كل من قدم يد المساعدة من قريب أو بعيد.

شكراً

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مقـــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي شرف أهل القرآن فجعلهم أهله وخاصته، أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، وعلمنا بالقرآن، ورحمنا بنبيه عليه الصلاة والسلام.

وبعد:

فإن نصوص القرآن العظيم باقية دائما وإلى أبد الدهر متجددة المعاني وإن تحددت المباني؛ ذلك لأن تفسيرها متوقف على مرونة وسعة الأدوات التي تجب في حق من أراد التفسير.

هذه الأدوات كانت ولا تزال –بسعتها ومرونتها– ضامنا كبيرا لفهم الكتاب العزيز، وبيان هداياته الربانية التي جاءت لخير البشرية في كل أمورها الدينية والدنيوية. ومن ثم يتحقق صلاح النص القرآني للإجابة على تساؤلات الزمان والمكان بما يعطيه من فهوم متجددة كانت أم جديدة.

هذا وتعد اللغة العربية الزاخرة بأنواع الدلالات المختلفة واحدةً من الدلالات الأساسية التي تفيد المفسر الفهمَ الصحيح للنصوص القرآنية؛ ذلك لأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، وحواه وعاؤها الواسع المرن، فأعطته دلالات متعددة تناسب المخاطبين وملكاتهم اللغوية، فتلاقت الأفهام حينا، وتباينت حينا آخر، ولعل المرجع في ذلك الطاقة اللغوية المتباينة.

والدرس اللغوي العربي تطور عبر مراحل متلاحقة وعلى أيدي علماء مجتهدين قدموا إسهاماتهم للمعرفة اللغوية، ومع تطوره تطورت الدراسات الشرعية والقرآنية للنص القرآني، إلى أن وصل إلى مرحلته الحالية التي تعج بمختلف المدارس والنظريات الحديثة التي تدرس مختلف دلالات اللغة.

ولقد كانت اللغة العربية ملجأ الأولين وملاذ المتأخرين عند تدبر النص القرآني، وهذا واضح وجلي في عمل اللغويين الذين اهتموا بالقرآن الكريم وجعلوه مصدرا أولا لدراساتهم اللغوية.

كذلك الأمر بالنسبة للأصوليين الذين اهتموا باللغة من خلال مبحث الدلالات من مباحث علم أصول الفقه، وساهموا بقسط وافر لا يقل عن إسهامات غيرهم.

والأمر نفسه عند علماء القرآن والمفسرين الذين جعلوا من اللغة ودلالاتها الإفرادية والتركيبية خطوة أساسية في العملية التفسيرية، حيث كان أول ما يهتم به المفسر هو المباحث اللغوية، كما هو مقرر في كتب علوم القرآن.

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الدراسة هي محاولة للبحث في إحدى الدلالات اللغوية المتصلة بالقرآن الكريم، والتي هي من جملة ما اهتم به الباحثون القدماء أو المحدثون، بل لعلها أبرز ما اهتم به الباحثون القدماء-سواء اللغويون منهم أم الأصوليون أم المفسرون- ولعلها أبرز ما يجب أن يهتم به الباحثون المحدثون، سواء في بحوثهم اللغوية أم الأصولية أم التفسيرية.

هذه الدلالة هي: السياق القرآني.

إن دلالة السياق من أبرز الدلالات التي نالت الاهتمام في الدرس اللغوي قديما وحديثا، سواء من حيث المبنى أم من حيث المعنى، حتى إذا ذكرت اللغة وفهم اللغة وفقهها لا يذكر ذلك إلا والسياق أبرز عناصرها، بل صار للسياق نظرية حديثة ومدرسة.

وإن السياق كذلك من أبرز الدلالات التي اهتم لها الدرس الأصولي، كما اهتم لها أيضا علم التفسير كواحد من مفرداته التي لا غنى عنها في البحث عن المراد من النظم الكريم.

كذلك في العصر الحديث ينبغي الالتفات إلى هذه الدلالة من حيث التوظيف وقبل ذلك من حيث التأصيل والتنظير.

وبناء على ما تقدم فإن الفكرة الرئيسة أو الإشكال المطروح في هذه الدراسة يمكن له أن يتأسس عبر النقاط والتساؤلات الآتية:

1- أبانت الدراسات اللغوية أن النص اللغوي لا يمكن استجلاء معانيه المتعددة وضبطها وبيان الأقرب إلى الصواب منها إلا بتوظيف جملة من القرائن من داخل النص أو من خارجه.

هذه القرائن تساعد على ضبط المعنى المطلوب لمفردات النص التي تحمل في بنيتها وجوها من المعاني المختلفة التي تدل عليها الدلالة المعجمية وغيرها من الدلالات.

فأمام مثل هذا النص لابد من توظيف عديد من القرائن. ولعل أهمها: دلالة السياق.

2- النص القرآني في مبناه قائم على اللغة العربية الزاخرة بأنواع المباني ومختلف المعاني، لذلك فإنه-وكأي نص لغوي-جاءت مفرداته حمَّالة وجوه من المعاني تحتاج إلى ما يضبطها ويترع عنها الاضطراب في المعنى الذي يقع في فكر القارئ له.

ولعل أهم ما يؤدي هذه الوظيفة: سياق النص القرآني نفسه.

3- النص القرآني كنص لغوي اتجهت إليه فئات ثلاث بالدرس، كلها اتفقت في توظيف دلالات اللغة العربية في درسها للنص القرآني، وإن تباينت في الجهة التي تناولت منها النص القرآني. هذه الفئات هي: اللغويون، الأصوليون والمفسرون.

ولعل أهم ما اتفق عليه هؤلاء هو توظيف دلالة السياق في النص القرآني.

التساؤلات:

- ما هو مفهوم السياق والسياق القرآني؟
- ما هي علاقة السياق القرآني بالتفسير؟
- ما مدى اهتمام الدرس اللغوي بالسياق وبالسياق القرآني؟
- ما مدى اهتمام الدرس الأصولي بالسياق القرآني؟
- ما هي علاقة السياق القرآني بعلوم القرآن والتفسير؟
- ما مدى اهتمام الدرس التفسيري بالسياق القرآني؟

وأمام هذه التساؤلات فإن الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة هي الإجابة عنها بتحقيق الغايات الآتية:

1-بيان توظيف السياق القرآني واعتماده عند اللغويين سواء القدماء منهم أم المحدثين، في الدراسات القديمة والحديثة، وذلك باختيار نماذج لهذا الغرض.

2-بيان اهتمام علماء الأصول بالسياق القرآني تأصيلا وإعمالا وتقعيدا.

3-بيان علاقة السياق القرآني بمباحث علوم القرآن وبعلم التفسير، وتوظيفه من طرف المفسرين والدارسين للقرآن الكريم.

4-المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية عامة، ومكتبة التفسير والدراسات القرآنية خاصة بمثل هذه البحوث الجزئية.

أما أهمية هذه الدراسة فإنها تكمن في كونها محاولة للكشف عن إحدى الدلالات، بل كبرى الدلالات التي يطلب توظيفها في العملية التفسيرية. ولا أدعي أنها قد وصلت الغاية، بل يكفي أني طرقت الموضوع؛ حيث يحتاج إلى مزيد من الاهتمام اللائق به من قبل الباحثين والدارسين في مجال الدراسات القرآنية والتفسيرية.

وكان اختياري لهذا الموضوع لأسباب كثيرة منها:

1-خلال مطالعتي في كتب التفسير كثيرا ما يقول المفسرون: والسياق يرده. أو: السياق يدل عليه. أو: السياق يؤيده. ما أثار في ذهني تساؤلات حول الموضوع لم تتوفر لي الإجابة عنها بمجرد المطالعة.

2-قلة الدراسات المتخصصة في الموضوع -في حدود الاطلاع- والتي أبانت عن قلة الاشتغال به من جانب الدارسين لتفسير القرآن على الخصوص. فوقع العزم على اختياره والمضي في إنجازه كخطوة تكون محاولة للإفادة والإثراء.

هذا وخلال المطالعة في موضوع الدراسة تبين لي أنه لا توجد دراسة نظرية تأصيلية تناولت السياق القرآني، من حيث التعريف به، وإثباته، وتوظيفه في التفسير، وإنما الموجود أقوال للعلماء منثورة في ثنايا نصوصهم المعبرة عن آراءهم حول الموضوع، خاصة من حيث التوظيف، دون الإشارة إلى الناحية التأصيلية أو النظرية، إلا القليل منها، ودون أن تبلغ المراد المرجو في النفس.

فلما كان الأمر على هذه الصورة، كانت المنهجية التي اعتمدتها متمثلة في:

1-الاستقراء مع التحليل؛ أي استقراء نصوص العلماء في الموضوع، بقدر ما توفر عندي من المصادر والمراجع، سواء كانت هذه النصوص لأهل اللغة أم للأصوليين أم لأهل التفسير

والدراسات القرآنية، وسواء كانت للأقدمين أم للمحدثين. ثم تحليلها ما أمكن الوسع والطاقة لذلك، لأجل الوقوف على الجزئيات المطلوبة في الموضوع، ومن ثم أحاول تركيبها وبناءها في وحدات تشكل في النهاية النتائج المستخلصة.

2-الحرص على تتبع النصوص في مصادرها الأصلية.

3-إثبات النصوص إما بالنقل الحرفي لما يكون ذلك أدعى للحفاظ علي معانيه، وإما بالاختصار إسقاطا لما ليس من صلب الموضوع، وإما بالتلخيص تجنبا للتطويل.

4-النصوص المنقولة التي زادت عن ستة أسطر من صفحة البحث وضعتها وضعا مميزا، مع إثبات رقم التهميش في بداية النص أو في نهايته.

5-تعقب النصوص المنقولة بالتحليل والنقد ما أمكن ذلك.

6- اعتماد رواية حفص عن عاصم، وضبط الآيات القرآنية ووضعها وضعا مميزا بخط مغاير لخط الكتابة العادية، مع إثبات موضعها من القرآن في أصل النص لا بالهامش.

7-تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث بعزوها إلى مصادرها والإشارة إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة.

8-أثناء التهميش للمصادر والمراجع أذكر اسم المؤلف ثم عنوان المصدر ثم معلومات النشر(البلد، الناشر، الطبعة وسنة الطبع) فالجزء والصفحة. وذلك عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة. وأكتفي بذكر اسم المؤلّف والمصدر والجزء والصفحة لما يتكرر النقل منه نقلا غير مباشر، أما إذا كان مباشرا وفي الصفحة نفسها فأكتفي بقولي: المصدر نفسه. مع ذكر الجزء والصفحة، أما إذا كان في الصفحة الموالية فأقول: المصدر السابق. مع ذكر الجزء والصفحة.

9-ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

10-شرح المصطلحات الواردة في الموضوع بقدر توفر المصادر والمراجع، وذلك بالهامش.

11-تعقب بعض الآراء و الأفكار بالشرح والبيان بالهامش لما يستدعي الأمر ذلك.

12-اختصار عناوين بعض الكتب، ومنها:

-البرهان: البرهان في علوم القرآن.

-الإتقان: الإتقان في علوم القرآن.

-المناهل: مناهل العرفان في علوم القرآن.

-البحر المحيط: البحر المحيط في أصول الفقه.

-المستصفى: المستصفى في أصول الفقه.

-الموافقات: الموافقات في أصول الشريعة.

13-وضع فهارس للآيات القرآنية الواردة في البحث، وللأحاديث والآثار، والأعلام المترجم لهم، وللمصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وفهرسة عامة تفصيلية لموضوعات البحث.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع في أهميته وإشكاليته والمنهجية المتبعة من وضعه في خطة قسمتها إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها التعريف بموضوع الدراسة وبيان أهميته وسبب اختياره مع طرح الإشكالية التي كانت في شكل نقاط وتساؤلات محددة، وبيان الأهداف المتوخاة، ثم المنهجية المتبعة في الدراسة، وخطة البحث المعتمدة، وأهم مصادر ومراجع البحث، مع بيان العوائق والصعوبات التي واجهت عملي في هذه الدراسة.

أما الفصل الأول فقد خصصته لتحديد المصطلحات، وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في تحديد تعريف السياق من حيث اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: في التفسير وعلاقته بالسياق، وتناولت فيه تعريف التفسير وعلاقته بالسياق.

المبحث الثالث: في مفهوم الدلالة، وتناولت فيه: تعريف الدلالة من حيث اللغة والاصطلاح، ومفهوم دلالة السياق القرآني.

وأما الفصل الثاني فخصصته للسياق في الدراسات اللغوية العربية، وقسمته إلى مبحثين أساسيين هما:

المبحث الأول: السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة. وعالجت فيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: ارتباط الدراسات اللغوية العربية القديمة بالقرآن. وأبنت فيه عن العلاقة بين تلك الدراسات والقرآن الكريم.

المطلب الثاني: نظرية النظم وعلاقتها بالسياق. وبحث فيه تطور فكرة النظم وصولا إلى نظرية النظم كما قررها الجرجاني، كما بحثت جوانب هذه النظرية ومنها التي لها علاقة بالسياق.

المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق. وأبنت عن اهتمام اللغويين القدماء بالسياق وبالسياق القرآني.

المبحث الثاني: السياق في الدراسات اللغوية العربية الحديثة. وعالجت فيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: مدرسة "فيرث" الحديثة ونظرية السياق. وأبنت فيه هذه النظرية وجوانبها وما اعترض عليها.

المطلب الثاني: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بنظرية السياق. وكشفت فيه عن تأثيرات هذه النظرية على الدرس اللغوي العربي الحديث، وهذا خلال وصف أعمال كنماذج لهذا التأثير.

المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بالسياق القرآني. وقدمت فيه نموذجا لهذا الاهتمام والذي يعبر عن استقلالية الدراسات اللغوية العربية الحديثة التي اهتمت بالنص القرآني لأجل تقديم درسا لغويا أصيلا يتماشى مع الحداثة.

أما الفصل الثالث فخصصته للسياق القرآني في الدراسات الأصولية وعلوم القرآن والتفسير. وقسمته إلى مبحثين أساسيين:

المبحث الأول: السياق القرآني في الدراسات الأصولية. وضمنته ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: الشافعي والتأسيس لدلالة السياق في الدراسات الأصولية. وعالجت فيه بدايات البحث في السياق عند الأصوليين.

المطلب الثاني: اهتمام الأصوليين بدلالة السياق. وأبنت فيه عن استمرارية البحث الأصولي في دلالة السياق.

المطلب الثالث: الشاطبي والتقعيد لدلالة السياق في الدراسات الأصولية. وعالجت فيه ما قرره الشاطبي من قواعد تحكم توظيف السياق.

المبحث الثاني: السياق القرآني في علوم القرآن والتفسير: وعالجت فيه الموضوع في ثلاثة مطالب أساسية:

المطلب الأول: السياق القرآني وعلاقته بعلوم القرآن. وأبنت فيه عن علاقة السياق القرآني بعديد من المباحث القرآنية والتي يدخل السياق في بناء معالمها.

المطلب الثاني: السياق القرآني وعلاقته بالتفسير. وهو ثمرة ما سبق من الدراسة، وتناولت فيها علاقة السياق القرآني بالتفسير وبأنواعه النقلية والعقلية، مع بيان مرتبته من بين مراتب التفسير.

المطلب الثالث: نماذج من اهتمام المفسرين والدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني. وهو امتداد للمطلب السابق وتتمة له؛ حيث عالجت نماذج مختارة لعمل مفسرين ودارسين للقرآن اهتموا بتوظيف السياق القرآني في النصوص التي فسروها أو درسوها.

أما خاتمة البحث فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها والمتصلة بموضوعه عبر فصوله ومباحثه ومطالبه. كما ضمنتها أيضا التوصية بالموضوع لأجل الإثراء والتوسع في دراسته.

وأمام قلة الدراسات السابقة في موضوع السياق القرآني بالمكتبة العلمية القرآنية، اتجهت لاعتماد جملة من المصادر والمراجع المتنوعة المتصلة أساسا بعلوم اللغة والأصول وعلوم القرآن والتفسير. وكان أهم هذه المصادر والمراجع:

1- لسان العرب: ابن منظور.

2- المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي.

3-علم اللسانيات الحديث: عبد القادر عبد الجليل.

4-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني.

5-البيان في روائع القرآن: تمام حسان.

6-الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي.

7-البرهان في علوم القرآن: الزركشي.

8-علوم القرآن وإعجازه: عدنان محمد زرزور.

9-جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري.

10-تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

وأمام إنجاز هذا البحث وقفت أمامي عقبات وصعوبات، حالت دون السير الحسن لعملية الإعداد والإنجاز على الوجه الذي رمته، وفي أقصر مدة زمنية أردتها.

وجملة هذه العقبات والصعوبات تتمثل في:

1-قلة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع المطروح للدراسة-خاصة فيما يتعلق بالسياق القرآني-. كذلك تفرق أجزاء مادة البحث في ثنايا المصادر والمراجع المختلفة-اللغوية منها والشرعية- والذي تطلب كثرة المطالعة في الفهارس العامة والخاصة للمكتبة الجامعية، وتصفح صفحات الإنترنيت...، واللجوء إلى الإكثار من استعارة المصادر والمراجع على اختلافها التي أرجو منها وجود مادة علمية تخص موضوع البحث.

2-كثرة الواجبات أمام ضيق الوقت؛ حيث أن ممارستي لوظيفة التدريس بعيدا عن الجامعة التي أنتسب إليها، وكذا عن المراكز العلمية المتخصصة الأخرى، حتم علي الغياب طول أيام الأسبوع إلا يومين اثنين نهايته، حيث لا أتمكن في أغلب الأحيان إلا من استعارة المصادر والمراجع التي أرجو منها خدمة البحث، وفي بعض الأحيان لا أتمكن حتى من الاستعارة.

3-التنقل الدائم بين مقر العمل بولاية تيزي وزو ومقر الإقامة والجامعة بقسنطينة؛ حيث أثر ذلك كله مع مرور الوقت على قواي الجسدية، وأثر على الناحية النفسية والاجتماعية، ما شكل لي عائقا أمام السير الحسن لعملية البحث، لم أتمكن من مجاوزته إلا بتوفيق من الله عز وجل، ثم برفع الهمة أمام التشجيع بالمواصلة.

هذا فما كان من الإصابة فمن الله تعالى، وما كان من الخطأ فمن زلاتي، يغفره إن شاء من جلّ شأنه عن الخطأ والزلل. والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول : تحديد المصطلحات

## المبحث الأول : تعريف السياق القرآني

## المبحث الثاني : التفسير وعلاقته بالسياق

## المبحث الثالث: مفهوم الدلالة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الأول: تعريف السياق القرآني

### المطلب الأول: السياق في اللغة

السِّيَاقُ في اللغة مصدر من قولهم: ساق، يسوق، سَوْقاً، وسِيَاقاً، وسِيَاقَةً، ومَسَاقاً

قال ابن منظور: «السَّوْقُ: معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق»[1].

وفي القاموس المحيط: «...وساق الماشية سوقا وسياقة ومساقا، واستاقها، فهو سائق وسوّاق»[2].

ويدور معنى السياق حول معاني: التتابع والترابط والتسلسل والتقييد، والمجرى والحذو والمتبع.

قال في اللسان: «وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت...والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا»[3].

وقال الفيروزأبادي: «وتساوقت الإبل، تتابعت وتقاودت، والغنم: تزاحمت في السير»[4].

وقال ابن فارس: «...وهو حذو الشيء: يقال ساقه يسوقه سوقا...»[5].

وجاء في المعجم الوسيط: «ساق الحديث: سرده وسلسله...وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»[6].

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 166/10 مادة: ساق.

(2)-الفيروزأبادي: القاموس المحيط، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:6، 1419هـ-1998م، ص:895.

(3)-ابن منظور: لسان العرب، 166/10.

(4)-الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ص:895.

(5)-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، 117/3.

(6)-إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، 464/1-465.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الأول: تعريف السياق القرآني

### المطلب الأول: السياق في اللغة

السِّيَاقُ في اللغة مصدر من قولهم: ساق، يسوق، سَوْقاً، وسِيَاقاً، وسِيَاقَةً، ومَسَاقاً

قال ابن منظور: «السَّوْقُ: معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوَّاق»[1].

وفي القاموس المحيط: «...وساق الماشية سوقا وسياقة ومساقا، واستاقها، فهو سائق وسوَّاق»[2].

ويدور معنى السياق حول معاني: التتابع والترابط والتسلسل والتقييد، والمجرى والحذو والمتبع.

قال في اللسان: «وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت...والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا»[3].

وقال الفيروزأبادي: «وتساوقت الإبل، تتابعت وتقاودت، والغنم: تزاحمت في السير»[4].

وقال ابن فارس: «...وهو حذو الشيء: يقال ساقه يسوقه سوقا...» [5].

وجاء في المعجم الوسيط: «ساق الحديث: سرده وسلسله...وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»[6].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 166/10 مادة: ساق.

(2)-الفيروزأبادي: القاموس المحيط، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:6، 1419هـ-1998م، ص:895.

(3)-ابن منظور: لسان العرب، 166/10.

(4)-الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ص:895.

(5)-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، 117/3.

(6)-إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، 1/464-465.

ومعاني التتابع، الترابط، التقييد، والتسلسل متعلقة بمعنى المجرى الواحد أو الحذو المتبع؛ إذ من مقتضى تتابع الأشياء وترابطها وتقييد بعضها ببعض وتسلسلها أن تكون في مجرى واحد تحذوه، و إلا انقطع الذي بينها وكان التبعثر مآلها.

فسياق الكلام هو المجرى الواحد الذي يحذوه الكلام في تتابع وترابط، وتقييد وتسلسل بين أجزائه، ما يجعل الكلام متماسكا في المعنى.

## المطلب الثاني: كلمة السياق في القرآن الكريم

لم ترد كلمة السياق بهذه الصيغة في القرآن الكريم، وإنما جاءت في صيغ أخرى متنوعة وهي:

1-"المساق" كمصدر ميمي للفعل ساق يسوق، كالمقال من قال يقول، وهذا في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة:30]، ومعناه: «...تسيير ماش أمام مُسَيِّره إلى حيث يريد مُسَيِّرُه، وضده القَوْدُ»[1].

2-صيغة اسم الفاعل "سائق" في قوله تعالى:﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]، و«السائق الذي يجعل غيره أمامه يزجيه في السير ليكون بمرأى منه كيلا ينفلت وذلك من شأن المشي به إلى ما يسوء»[2].

3-صيغة الفعل الماضي المبني للمجهول "سيق" في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:71]. وقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:72].

وصيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم "سقناه" في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا

---

[1]-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس- الدار التونسية للنشر، الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط) 1984، 36/29.

[2]-المصدر نفسه، 308/26.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57].

وصيغة الفعل المضارع المقرون بنون الجمع "نسوق" في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [مريم:86]. وصيغة الفعل المضارع "يُساقون" في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال:66].

وكل هذه الصيغ ترجع إلى مصدر مطلق هو "السوق" من فعل ساق يسوق سوقا كالقول من قال يقول.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثالث: السياق في الاصطلاح:

لعل أغلب الدراسات اللغوية أو القرآنية أو الشرعية التي تناولت "السياق" كنظرية لغوية، أو كخطوة من خطوات التفسير، أو كقرينة شرعية توظف في الترجيح، لم يقدم أصحابها تعريفات لهذا المصطلح، بل إنهم يتجهون رأسا إلى الحديث عنه من حيث دلالته وأقسامه وتطبيقاته، كأن حدَّه معلوم ابتداء، أو كأنه يدرك بداهة دون الاحتياج إلى حدّه.

والواقع هو أن "السياق" صار عند أهل اللغة نظرية لها مكانتها المهمة بين النظريات اللغوية الحديثة التي تدرس دلالة اللغة، وهو عند المفسرين وعلماء القرآن مرحلة أساسية لا غنى عنها في التفسير، وهو كبرى القرائن التي توظف في تحديد المعنى أو ترجيح معنى على آخر في الدراسات الشرعية.

ولما كانت هذه الدراسة متجهة إلى الكشف عن السياق عند اللغويين وعند الأصوليين وعند علماء القرآن والتفسير من حيث توظيفه سواء كنظرية لغوية أو كقرينة أصولية أو كقاعدة تفسيرية كان لابد من وضع تعريف عام لمصطلح السياق يشمل الجميع.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة محاولة وضع تعريف عام منضبط لمصطلح "السياق"، وذلك من خلال الوقوف على ثلاثة تعريفات في الموضوع بالتحليل ثم التركيب للوصول في النهاية إلى ضبط المصطلح.

والتعريفات الثلاثة هي: لمحمد التونجي في "المعجم المفصل في الأدب"، ولعبد العال سالم مكرم في "المشترك اللفظي في الحقل القرآني"، ولكل من مصطفى شعبان عبد الحميد في "المناسبة في القرآن –دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي–" وحلمي خليل في "الكلمة:دراسة لغوية معجمية".

### أولا- تعريف محمد التونجي

جاء في المعجم المفصل في الأدب أن "السياق" هو: «مجرى أحداث عمل أدبي وثيق الترابط، يسهل عملية ربط الكلام، وبناء النص بناء محكما في بدئه وخاتمته والحَبكة بينهما»(1).

(1)-محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط:1، 1413هـ-1993م، 2/535.

ما يلاحظ على هذا التعريف أنه:

1-روعي فيه ما لوحظ من معنى "السياق" من حيث اللغة وهذا من خلال قوله: «وثيق الترابط»، «يسهل عملية ربط الكلام»، «مجرى أحداث...»

2-عبَّر عن "السياق" بالمجرى «مجرى أحداث عمل أدبي» وأكد هذا بقول: «وكثيرا ما يكون الكلام غامضا، ولكنه يفهم من السياق، أي من سير الأحداث سيرا منسقا»[1]، فالمجرى بهذا: هو النسق العام الذي تسير فيه أحداث[2] العمل الأدبي[3]، بحيث يبدو متماسكا في أجزائه، كل جزء أو موقف مرتبط ومقيد بالجزء أو الموقف الآخر.

فسياق القصة مثلا هو مجرى أحداثها، أي النسق الذي تتابع فيه الأفعال والمواقف، بحيث تظهر متماسكة من بدايتها إلى نهايتها، حتى إذا ما اقتطع جزء من فعل في القصة أو موقف من المواقف منها، اختل تسلسل أحداثها ووقع الانقطاع بين أجزائها وبدت غير متماسكة لا حبكة[4] فيها، فيكتنف القصة الغموض، ولا يذهب هذا منها إلا بإعادة ذاك الجزء أو ذاك الموقف إلى نسقه العام، أي إلى مجراه، فتسهل بذلك عملية الربط بين الأجزاء ربطا محكما ينتهي بالقصة إلى الذروة ثم الانفراج.

3-ضبط التعريف مجال توظيف "السياق" في النص، والنص هو «كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية، ويتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه، وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة»[5].

---

(1)-المصدر السابق، 535/2.

(2)-أحداث: جمع حدث وهو: جزء متميز من الفعل في القصة، وهو سرد قصير يتناول موقفا أو جانبا من موقف. انظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 349/1-350.

(3)-العمل الأدبي: هو ما يقوم به الأديب من عمل فني في صياغة القصيدة، تأليف قصة، رواية، مسرحية أو مقالة، فكل ما يكتبه هو عمل أدبي. انظر: المصدر نفسه، 612/2.

(4)-الحبكة: هي سلسلة من الأفعال تصمم بعناية، وتتشابك صلاتها، وتتقدم عبر صراع محكم بين الأضداد، يربط الأحداث ربطا محكما ينتهي إلى الذروة والانفراج، وتبرز الحبكة في القصة والرواية والمسرحية، فيما تتميز به هذه الأجناس الأدبية بتسلسل الأحداث. انظر: المصدر نفسه، 345/1-346.

(5)-خلود العموشي، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط:1 1426هـ-2005م، ص:22.

وخلاصة هذا التعريف أنه يقدم مجالا رحبا لتوظيف "السياق" وهو مجال النص بجميع خصائصه، كذلك عبَّر عن "السياق" بالمجرى، كأنه يمثل له بالمضمار يقيِّد تزاحم الكلمات ويجعل بعضها آخذا بالبعض الآخر، في تسلسل متتابع وترابط محكم من بدء الكلام إلى منتهاه.

وهذا التعريف له إفاداته التي ستكون ركائز أساسية في التعريف الذي انتهت إليه هذه الدراسة.

**ثانيا- تعريف عبد العال سالم مكرم**

أما بالنسبة للدكتور عبد العال سالم مكرم، فقد عرَّف "السياق" بقوله: «السياق هو علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة»[1].

ما يلاحظ على هذا التعريف أنه:

1-روعي فيه المعنى اللغوي للسياق، وإن كان ذلك بالإشارة دون التصريح، وهذا من خلال قوله: «علاقة» التي تشير إلى الروابط التي بين الكلمة وما قبلها وما بعدها من الكلمات في الجملة، ما يجعلها مقيدة مترابطة متسلسلة في معناها مع الكلمات السابقة لها واللاحقة بها.

2-الروابط التي تشير إليها كلمة"علاقة" ما هي في الواقع إلا روابط دلالية بين الكلمة وباقي الكلمات، والتي تجعل دلالة الكلمة مقيدة ومرتبطة بدلالات الكلمات السابقة لها واللاحقة بها.

3-والكلمة[2] إذ هي وحدة لغوية[3] يمكن تحديد المعنى الذي تعبر عنه عن طريق مختلف الدلالات اللغوية، ومن ذلك وضعها بين وحدات لغوية أخرى مجاورة لها في مجرى واحد يمكن التعبير عنه بالمجرى الدلالي؛ أي المجرى الدلالي للوحدات اللغوية المتجاورة، فبربط الكلمة أو الوحدة اللغوية التي يراد بيان معناها بهذا المجرى الدلالي يمكّن من تحديد دلالة تلك الكلمة

---

(1)-عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1417هـ-1996م، ص:23.

(2)-الكلمة هي: اللفظة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية، وتدل على معنى جزئي وهي أنواع: اسم وفعل وحرف. وتسمى أيضا: اللفظة والحرف. وهي أيضا الجملة التامة المعنى. انظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 484/1.

(3)-الوحدة اللغوية هي: المورفيم، وهو أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة. انظر: المصدر نفسه، 678/2، 635/2.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أو الوحدة اللغوية.

والمجرى الدلالي للوحدات اللغوية في واقع الأمر ما هو إلا "السياق".

4-خصَّص التعريف "السياق" بالكلمات التي وقع فيها الاشتراك اللفظي، وجعل منه محور المشترك اللفظي[1]. إلا أن السياق من حيث التوظيف يمتد مجاله إلى محاور أخرى، إضافة إلى المشترك اللفظي، كالأضداد[2]، والمترادف[3]، والمعنى المعجمي للمفردات[4]؛ إذ «أن الكلمة قد تكون ذات دلالات متعددة، كدلالة الترادف، ودلالة الاشتراك، والدلالة المعجمية»[5]، إضافة إلى ذلك فالسياق يمتد مجال توظيفه إلى ما هو أشمل وأعم من تلك المحاور؛ إذ «الكلمة يمكن أن تستعمل للدلالة على أي جانب من جوانب طبقات ودوائر متعددة ينتمي إليها المعنى...» [6]، كذلك فإنها «قد تشير أحيانا إلى مفهوم واسع عريض...»[7]، ومن ثمة يمتد إليها بصفة عامة، فالكلمة منها ما تكون دلالتها عامة غير مختصة بواحد من المحاور السابقة الذكر، ومنها ما هو مختص بواحد منها، ما يجعلها مرتبطة بدلالتين متقابلتين أو أكثر.

و«للسياق دور كبير في تحديد دلالة الكلمات بصفة عامة، وتحديد وتخصيص إحدى الدلالتين المتقابلتين للكلمة التي تعطي هاتين الدلالتين بصفة خاصة»[8].

ومن هنا يمكن القول أن "السياق" يوظف في مجالين اثنين:

---

(1)-المشترك اللفظي هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. انظر: السيوطي، المزهر، 369/1.

(2)-الأضداد هي: نوع من المشترك، إذ المشترك يقع على شيئين ضددين، وعلى مختلفين غير ضددين. المصدر نفسه 387/1-389.

(3)-المترادف هو: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، [و] ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. المصدر نفسه، 402/1-404.

(4)-المعنى المعجمي: هي معاني الألفاظ في المعاجم اللغوية. انظر: محمد التونجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1421هـ-2001م، 311/1.

(5)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، الإسكندرية- مصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1996م، ص:157.

(6)-المصدر نفسه، ص:156.

(7)-المصدر نفسه، ص:157.

(8)-عيسى شحاتة عيسى علي، العربية والنص القرآني، القاهرة، درا قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2001م ص:440 .



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأول: عام متعلق بدلالة الكلمات بصفة عامة.

الثاني: خاص متعلق بدلالة الكلمات التي هي من قبيل المشترك اللفظي، أو الأضداد، أو المترادف أو المعنى المعجمي، ما يعطي دلالتين متقابلتين أو أكثر.

4-حصر التعريف علاقة الكلمة بين ما قبلها وما بعدها من كلمات في نطاق الجملة لا يتعداها، مع أن "السياق" من حيث التوظيف يتعدى نطاق الجملة الواحدة إلى نطاق أوسع وأعم هو نطاق النص كما تقدم في التعريف السابق.

وخلاصة هذا التعريف أنه يعطي أبعادا جديدة للسياق فيما يخص نوع الوحدات اللغوية التي يراد تحديد دلالتها، وأنها وحدات لغوية عامة ووحدات لغوية خاصة.

**ثالثا- تعريف مصطفى شعبان عبد الحميد وحلمي خليل**

في دراسته المعنونة بـ: "المناسبة في القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي" قدَّم مصطفى شعبان تعريفا للسياق ناقلا إياه بالترجمة عن قاموس اللغة واللسانيات "Dictionary of Language and linguistic" لمؤلفيه: "Hantmann وStarK"، حيث قال: «ويقصد به: الأصوات والكلمات أو العبارات التي تسبق أو تلي عنصرا لغويا معينا في قول أو نص»[1].

أما حلمي خليل فقد أورد في كتابه: "الكلمة دراسة لغوية معجمية" تعريفا للسياق اللغوي ناسبا إياه للغويين المحدثين وأنه عبارة عن: « الأصوات والكلمات والجمل كما تتابع في حدث كلامي معين أو نص لغوي»[2]

1- الأصوات: يراد بها الوحدات الصوتية المتنوعة وهي في علم اللسانيات يعبر عنها بـ:"الفونيمات" ومفرده: "الفونيم" وهو: «أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة...أو هو: أصغر وحدة صوتية تفرِّق بين المعاني»[3]؛ إذ وظيفته الأساسية هي: «القدرة على التفريق بين

---

(1)-مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، (د.ط)، 1428هـ-2007م، ص:11.

(2)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:161.

(3)-عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، عمان- الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط:1، -1418هـ- 1995م ص:98-99.

المعاني. وعلى ضوء هذه يكون الفونيم: كل صوت قادر على إيجاد تغير دلالي»[1].

و"الفونيمات" قسمان: تركيبية متكونة من الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة[2] وفوق تركيبية متكون من المقطع والنبر والتنغيم[3] والمفصل[4].

وخلاصة ما يراد بالوحدات الصوتية أنها تتشكل ابتداء من أصغر وحدة وهي الفونيم ثم المقطع ثم النبر ثم التنغيم ثم المفصل. وكل هذه الوحدات مؤتلفة لا يمكن فصل أي واحد منها أو إسقاطها لما لعملها الوظيفي المترابط مع بعضها البعض[5]. هذه الوظيفة متمثلة في الدلالة الصوتية، وهي «ما تفرزه طبيعة الأصوات من إيقاع حيث تُضَمُّ إلى بعضها على وفق نسق تركيبي لإنتاج بيان لغوي معين»[6]. فالصوت أو الوحدة الصوتية أو الفونيم «يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل منظومة السياق على وفق

---

[1]-المصدر السابق، ص98. وانظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، عمان- الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط:1، 1421هـ-2001م، ص:305.

[2]-عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص:106-107، ص:197. وانظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات دمشق- سوريا، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط:1، 1416هـ-1996م، ص:57-59.

الأصوات الصائتة: هي الأصوات التي تنطق بها بإخراج كمية من الهواء من الرئتين دون أن تصادف عائقا.

الأصوات الصامتة: هي الحروف التي يقوم عائق في جهاز النطق عند النطق بها، فيتخطى الهواء الخارج من الرئتين هذا العائق...انظر: محمد التونجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة( الألسنيات)، 372/1.

[3]-عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص:213-215.

المقطع هو: واحدة صوتية أكبر من واحدة الصوت المفرد، وتتألف هذه الواحدة من صوت طليق واحد، قصيرا كان أو طويلا، معه صوت حبيس واحد أو أكثر نحو: "مال" إذ فيها مقطع واحد يتألف من طليق واحد هو الألف (الفتحة الطويلة) وحبيسين هما الميم واللام... انظر: التونجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، 613/2.

النبر هو: ميل الإنسان إلى الضغط على أعضاء النطق أثناء التلفظ بمقطع خاص من الكلمة تنشط معه جميع الأعضاء بشكل فجائي ليبرز في النطق. ويكون أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، ويؤدي هذا النشاط إلى زيادة في واحد أو أكثر من عناصر المقطع والتي هي: الشدة، والمدة، والحدة... انظر: المصدر نفسه، 646/2-647.

التنغيم هو: نوع من موسيقى الكلام، بواسطته يتسنى للدارس أن يعرف كثيرا من خصائص الكلام كالتفريق بين الجملة المثبتة والاستفهامية، ولا سيما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق، كتعبير التعجب والاستفهام، وأكثر ما يوجد في اللهجات العامة، نحو "أخوك أتى" و"أخوك أتى؟" (جملة استفهامية). انظر: المصدر نفسه، 207/1.

[4]-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:366، ص:379-380.

[5]-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:148.

[6]-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:524.

محتواها الوظيفي...إذن ليس للصوت درجة قيميَّة داخل نفسه، إنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق، الذي يعتبر المكان الآمن الذي تؤدي فيه الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات»[1].

2-قوله: «الكلمات» يراد به الوحدات الصرفية، وهي عند علماء اللسانيات "المورفيم" وهو «صيغة أو عنصر لغوي يدل على المعاني أو المقولات الصرفية والنحوية، أو هو أصغر وحدة تحمل معنى أو وظيفة نحوية»[2].

وخلاصة ما يراد بالوحدات الصرفية أنها ترتكز أساسا على الوحدات الصوتية في قسمها التركيبي من حيث دخولها المباشر في الصيغ اللغوية وأبنيتها التركيبية، لتعطي دلالة تُستمد من طريق الصيغ وأبنيتها.

والصيغ اللغوية وأبنيتها التركيبية يهتم بها علم الصرف، وهو - في الاصطلاح- «العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوناتها، على وجوه وأشكال عدة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة والزيادة والحذف، والصحة والإعلال، والإدغام والإعالة، وبما يعرض لتواليها من التغيرات، مما يفيد معان مختلفة»[3].

فالدلالة الصرفية تنشأ عن طريق الصيغ وأبنيتها؛ إذ أن أيّ تحول في الصيغة يؤدي حتما إلى تغير في محتوى الدلالة، من خلال ما هو ثابت في تعريف علم الصرف[4].

3-قوله: «أو العبارات» وهي الجمل، مفردها جملة وهي عند النحاة«مصطلح يدل على وجود علاقة إسنادية بين اسمين أو اسم وفعل. والإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، وفسرت "النسبة" بأنها إيقاع التعلق بين الشيئين»[5].

فالجملة وحدة تركيبية مبناها مسند ومسند إليه، والعلم الذي يهتم بهذا التركيب اللغوي

---

(1)-المصدر السابق، ص:541-543.

(2)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:148.

(3)-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:387.

(4)-المصدر نفسه، ص:526-527.

(5)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:217.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو علم النحو، وهو: «صناعة علمية تقوم على النظم المترابط وصورة المعنى»[1]؛ إذ يهتم بتحديد جزئيات الفعل الأدائي للكلمة وسط التركيب[2]، هذا التركيب يمكن الاصطلاح عليه بالوحدة النحوية[3]، وهي بدورها تعمل على إعطاء دلالة توصف بالدلالة النحوية، هذه الدلالة تتعلق «بالمهام والوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات اللغوية داخل بنية النص، من حيث تصنيفها، وإيضاح طرائق بنائها، وبيان نوع العلاقات التي تربط عناصر بنائها، وتحديد الدرجات الوظيفية التي تشغلها مكونات عناصرها، وطبيعة النموذج التركيبي لكل نوع من أنواع الجملة»[4].

وخلاصة هذا التعريف أنه -ومن خلال ما سبق بيانه- يكشف عن السياق من حيث تحديد طبيعة المستويات الدلالية المختلفة التي تشكل مجرى دلاليا للنص، وهي مستويات عديدة تبدأ بالدلالة الصوتية ثم الدلالة الصرفية ثم الدلالة النحوية، وكلها دلالات لغوية.

إضافة إلى هذا هناك دلالة أخرى لها ارتباطها الوثيق بما سبق من الدلالات، وإن كانت من خارج الإطار اللغوي، إلا أنها مرتبطة به؛ أي أن اللغة تدل عليها، هذه الدلالة هي: الدلالة المعجمية أو الاجتماعية[5]«فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية، التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية»[6].

والدلالة الاجتماعية تمثل الدلالات الخارجية للنص، وهي دلالة الحال أو الموقف الكلامي للنص.

---

[1]-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:444.

[2]-المصدر نفسه، ص:444.

[3]-الوحدة النحوية هي: الوحدة التي تستخدم في بناء الجملة نحويا وهي الكلمة عادة، محمد التونجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، 678/2.

[4]-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:528.

[5]- لم يفرق بعض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، ذلك أن المعاجم مهمتها الأساسية توضيح الدلالات الاجتماعية، وإن تعرضت إلى مباحث من مسائل النحو أو الصرف؛ إذ الدلالات الاجتماعية هي هدف المعاجم القديمة والحديثة في الأساس الأول. انظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط:6، 1991م، ص:50.

[6]-المصدر نفسه، ص:48.

وهذه أهم الدلالات التي اهتم بها الدارسون اللغويون، ولا يمنع من دخول دلالات أخرى أشارت إليها الدراسات اللغوية الحديثة، كالدلالة النفسية[1] و الدلالة الثقافية[2].

من خلال ما تقدم من تعريفات للسياق، وبمراعاة ما استخلص من أفكار متصلة بكل تعريف، يمكن -وبالجمع بينها- وضع تعريف عام للسياق، يراعى فيه جانب الشمولية؛ أي أن يشمل أنواع السياقات المختلفة، كما يراعى فيه أيضا الجانب الوظيفي للسياق؛ أي أنه تعريف يقدم الوظيفة التي يؤديها السياق، فيقال فيه أنه:

**"المجرى الدلالي للنص، يحدد دلالة الوحدة اللغوية العامة أو الخاصة، باعتبار المستويات الدلالية الداخلية (البنيوية) أو الخارجية (المعنوية)، والذي يشكل بناء للنص بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه".**

**شرح التعريف:**

1-"المجرى الدلالي للنص" يمثل المستويات الدلالية الداخلية والخارجية للنص.

2-"الوحدة اللغوية العامة" هي التي تكون دلالتها عامة بخلاف "الوحدة اللغوية الخاصة" التي تكون دلالتها مرتبطة بواحد من الاحتمالات التي يعطيها الاشتراك اللفظي أو الترادف أو التضاد أو المعنى المعجمي.

3-"المستويات الدلالية الداخلية" هي التي تكون من داخل النص وهي الدلالات اللغوية: الصوتية، الصرفية، والنحوية.

4-"المستويات الدلالية الخارجية" هي التي تكون من خارج النص، وهي دلالات غير لغوية تمثل المحيط: الاجتماعي، النفسي، الثقافي... أو المعبر عنه بالموقف الكلامي للنص.

5-"اعتبار المستويات الدلالية" هو اعتبار الدلالات اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والحالية أو المقامية)؛ ما يعني النظر للوحدة اللغوية العامة أو الخاصة من جهة الدلالة الصوتية والصرفية، وربطها بما يجاورها من الوحدات اللغوية الأخرى من جهة الدلالة النحوية، ثم النظر إليها من جهة الحال أو الموقف الكلامي الذي قيلت فيه.

---

(1)-انظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:538-539.

(2)-انظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:297-200.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6-"بناء النص بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه" أي أن المجرى الدلالي للنص غايته هي وحدة موضوع النص ما يعني تسلسل الوحدات اللغوية دلاليا، وتقييد بعضها ببعض من بدء النص إلى منتهاه.

## المطلب الرابع: نسبة السياق إلى القرآن

"السياق القرآني" هذا المركب الإضافي يدل على أن للقرآن الكريم سياقا، وهذا صحيح؛ إذ الناظر في هذا الكتاب يجده مؤلفا من وحدات نصية كبرى متماسكة في المعنى ومترابطة الدلالات تسمى "السور"، ووحدات نصية صغرى تشكل دلالات مختلفة متعددة لكنها متماسكة فيما بينها ضمن الوحدة النصية القرآنية الكبرى "السورة الواحدة"، هذه الوحدة النصية القرآنية الصغرى هي: "الآيات" التي يحكمها الموضوع الواحد، أو "الآية الواحدة" ذات الموضوع الواحد. ثم إن الوحدات النصية القرآنية الصغرى تتشكل من وحدات نصية تركيبية هي "الجمل" وغير تركيبية وهي "المفردات". والمفردة إما أن تكون لها دلالة واحدة لا يدخلها الاحتمال يمكن التعبير عنها بالوحدة القرآنية العامة، وإما يدخلها الاحتمال فتتعدد دلالته، ويمكن التعبير عنها بالوحدة القرآنية الخاصة.

ولما كان النص القرآني لغويا بدرجة أولى؛ أي أنه قائم على اللغة بمختلف دلالاتها، كان للنص القرآني مختلف الدلالات التي للغة. ومن أهم الدلالات اللغوية "دلالة السياق"، فكما أن للغة سياقا فإن للقرآن سياقا، وهذا أمر بديهي.

ولما كان السياق في اللغة على أنواع عديدة أبانها اللغويون المحدثون خاصة، فإن السياق في القرآن على أنواع عديدة أيضا -ستحاول هذه الدراسة إبانتها-. وهذا من الجانب المتعلق بالمركب الإضافي "السياق القرآني".

وأما من الجانب الآخر المتعلق بمفردة "القرآن"، فالتأمل في المعنى اللغوي للمفردة من حيث أنه مشتق على أقوال عديدة يُبين صحة نسبة السياق للقرآن؛ إذ أن القرآن من حيث اللغة مشتق على أربعة أقوال هي:

1-من "قرن" بمعنى ضم، وقرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به لأن السور والآيات والحروف تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض.

2-من "القرائن" جمع قرينة؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، ويشبه بعضها بعضا، فكان بعضها قرينة على بعض.

3-من "القَرْء" بمعنى الجمع، ومنه قُرء الماء في الحوض إذا جمع فيه.

4-من "قرأ" بمعنى "تلا" فهو مرادف للقراءة، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[1].

من جملة هذه الاشتقاقات يلاحظ أن القرآن في معانيه اللغوية الاشتقاقية تضمن معاني الترابط والتقييد والتتابع والتسلسل، وهذه المعاني في الواقع هي نفسها الملاحظة في التعريف اللغوي للسياق، فالمعنى اللغوي للقرآن يشير إلى ذاك التساوق الموجود بين سوره وآياته، بل بين حروفه وكلماته، ما يجعله متماسكا في جملته وفي أجزائه، من فاتحته إلى خاتمته، في وحداته النصية الكبرى وفي وحداته النصية الصغرى.

إذن القرآن ذاته يشير من حيث معناه اللغوي إلى قيامه على سياق متعلق به هو الرابط بين سوره وآياته وبين حروفه وكلماته، وهو نفسه الضابط الأكبر لتماسكه الموضوعي في وحداته النصية.

والخلاصة أن نسبة "السياق" إذ القرآن صحيحة، وأن للقرآن سياقاً بل سياقات عديدة ولها وظائف مختلفة متشابكة تحاول هذه الدراسة إبانتها.

من خلال ما سبق، وبالنظر إلى تعريف السياق من حيث الاصطلاح، يمكن أن يقدم تعريف للسياق القرآني على هذا النحو:

**"المجرى الدلالي للنص القرآني، يحدد دلالة الوحدات القرآنية العامة أو الخاصة، باعتبار المستويات الدلالية الداخلية أو الخارجية، والذي يشكل بناء للنص القرآني بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه".**

**شرح التعريف:**

1-"المجرى الدلالي للنص القرآني" يعني المستويات الدلالية الداخلية (اللغوية) والخارجية

[1]-السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، ط:1، 1419هـ-1999م، 1/188.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(الحال أو المقام) .

2-"الوحدة القرآنية العامة" المفردة القرآنية التي لا يدخلها الاحتمال بل تدل على معنى واحد، و"الوحدة القرآنية الخاصة" المفردة القرآنية التي تحتمل المعاني المتعددة.

3-"المستويات الدلالية الداخلية"؛ أي من داخل النص القرآني وهي جملة الدلالات اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية).

4-"المستويات الدلالية الخارجية"؛ أي من خارج النص القرآني وهي جملة الملابسات الحالية المرافقة لنزول النص القرآني.

5-"اعتبار المستويات الدلالية"؛ أي اعتبار الدلالات (الصوتية والصرفية والنحوية والملابسات الحالية) ما يعني النظر ابتداء في الوحدة القرآنية العامة أو الخاصة من حيث الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية، وربطها بما يجاورها من وحدات قرآنية أخرى من حيث الدلالة النحوية، ثم ربطها أيضا بالملابسات الحالية وما يدل عليه المقام.

6-"الذي يشكل بناء للنص القرآني بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه"؛ أي أن النظر في الوحدات القرآنية العامة أو الخاصة من حيث اعتبار المستويات الدلالية الداخلية والخارجية ينتهي إلى وحدة موضوع الوحدة النصية القرآنية الصغرى أولاً، ومن مجموع الوحدات النصية القرآنية الصغرى ينتهي النظر إلى وحدة موضوع الوحدة النصية القرآنية الكبرى. وهو الغرض الأخير للمجرى الدلالي للنص القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: التفسير وعلاقته بالسياق

هذا المبحث يعالج مصطلح التفسير، ويبين العلاقة التي تجمعه بالسياق، ويتجه إلى بيان المرتبة التي يحتلها السياق القرآني في المنظومة أو العملية التفسيرية.

### المطلب الأول: تعريف التفسير

التفسير من حيث اللغة: من الفسر بمعنى: الإبانة والكشف والإيضاح، وهي معان متقاربة تعود إلى معنى البيان[1].

أما في الاصطلاح فله تعريفات عديدة أهمها بالنسبة لهذه الدراسة:

1-تعريف الإمام أبي حيان الأندلسي: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك»[2].

2-تعريف الشيخ الزرقاني: «التفسير علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية»[3].

هذان التعريفان متفقان على أن التفسير علم يبحث فيه عن المعنى المراد من النظم الكريم، إلا أنّ التعريف الثاني مجمل لا تفصيل فيه فيما يخص المتعلق بالتفسير، أما التعريف الأول فجاء بالتفصيل فيما يخص المتعلق بالتفسير وهو ألفاظ القرآن من حيث كيفية النطق بها ومدلولاتها الإفرادية والتركيبية.

هذا التعريف -وكما هو ملاحظ- يجعل من كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم من علم التفسير الذي هو بيان تلك الألفاظ، وهذا يشير إلى أن كيفية النطق بالألفاظ تعطي دلالات مختلفة لها تسهم في بيان المعنى المراد منها، وليس بالضرورة أن كيفية النطق بألفاظ القرآن متوقفة

---

(1)-ابن منظور، لسان العرب، مادة فسر، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص:456.

(2)- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي معوض وآخرون، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:2، 1428هـ-2007م، 121/1.

(3)-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ط:3 [illegible]



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عند طريقة أدائها وفق ما يقرره علم القراءات دون الالتفات لدلالة تلك الألفاظ المنطوقة من حيث النطق ذاته.

فالعملية التفسيرية حسب ما يشير إليه هذا التعريف تبدأ أساسا من كيفية النطق بالألفاظ؛ أي كيفية إصدار الأصوات بما يعطي دلالات تدخل في بيان المعنى المراد من اللفظة عن طريق المستويات المختلفة للأصوات كالمقطع والنبر والتنغيم.

ثم تتجه العملية التفسيرية إلى الاهتمام باللفظة حالة الإفراد، وما تفيده من معنى في أبنيتها المختلفة وصيغها المتنوعة، لتنتهي عند حالة التركيب وما يفيده من معنى عن طريق تعليق اللفظة بألفاظ أخرى وفق ما يقتضيه النظم المبني على الصناعة النحوية.

هذا من الجانب اللغوي، ومن جانب آخر تنضاف التتمات، والتي تشير في مجملها إلى الحال أو المقام المتصل بالنزول والذي يعطي دلالات تدخل أساسا في بناء المعنى التام المراد من مجموع الألفاظ القرآنية، أي النص القرآني.

والخلاصة هي أن التفسير وفق هذا التعريف هو العلم الذي يبحث في دلالة ألفاظ القرآن في ثلاثة مستويات: مستوى صوتي، مستوى صرفي، ومستوى نحوي، إضافة إلى مستوى خارجي هو الحال أو المقام المتصل بالألفاظ أو النص عموما.

وهذه المستويات في الواقع هي نفسها التي يهتم بها السياق، ومن هنا فإن العملية التفسيرية وفق هذا التعريف تقوم أساسا على توظيف السياق في مستوياته الدلالية المختلفة؛ أي الدلالة الصوتية، الدلالة الصرفية، الدلالة النحوية، و دلالة الحال أو المقام.

ولما كان السياق القرآني متصل بالوحدات النصية القرآنية الكبرى (السور) والوحدات النصية القرآنية الصغرى (الآية أو الآيات) والوحدات القرآنية العامة أو الخاصة (المفردات) فإن العملية التفسيرية على هذا متصلة بالوحدات نفسها؛ أي أنها تتجه إلى الوحدة النصية القرآنية الكبرى ببيان معناها العام، و تتجه إلى الوحدة النصية القرآنية الصغرى ببيان معانيها الجزئية المتماسكة في المعنى مع باقي الوحدات النصية القرآنية الصغرى، والتي تؤلف المعنى العام للوحدة النصية القرآنية الكبرى، و تتجه قبل ذلك إلى الوحدة القرآنية (العامة أو الخاصة) ببيان المعنى العام أو بتحديد واحد من المعاني المحتملة، والذي يشكل معنى الوحدة النصية القرآنية الصغرى ومنه معنى الوحدة النصية القرآنية الكبرى.

والأصل في الكلام المنطوق أو المكتوب أنه يفهم بذاته من غير شرح، وذلك من خلال المستويات الدلالية التي تحفه، والتي هي السياق الذي يأتي فيه الكلام المنطوق، أو يوضع فيه الكلام المكتوب، فالسياق بمستوياته الدلالية المختلفة من شأنه إفهام المعنى المراد من دون الاحتياج إلى وضع الشروح، وإنما تأتي الشروح لدفع القصور الذي هو من طبيعة المستمع أو القارئ، والذي يبعد عن المعنى المراد ويوقع في معان مختلفة، هذا القصور مرتبط بالحال التي يكون عليها المستمع أو القارئ، والتي هي مرتبطة أساسا بالطاقة البشرية؛ أي بما يبذله المستمع أو القارئ من جهد في تبين الكلام.

لهذا كان التفسير مرتبطا بالطاقة البشرية، كما هو مقرر في التعريف الثاني، ويستنتج من ذلك أن العملية التفسيرية في توظيفها للمستويات الدلالية المختلفة التي للسياق، مرتبطة أساسا بطاقة المتلقي، وما تؤدي إليه مداركه وجهده في مراعاة هذه المستويات الدلالية المختلفة، ومن هنا يحدث التفاوت بين المفسرين في إدراك وفهم معاني النصوص القرآنية بل المفردات القرآنية.

ومن خلال ما تقدم فإن التفسير: **"علم يبحث فيه عن دلالة الوحدات القرآنية من حيث المستويات الدلالية المختلفة للسياق بقدر توظيف المفسر لها."**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثاني: علاقة التفسير بالسياق

الناظر في التفسير من حيث الغاية، يجده علما له أدواته العديدة التي تتجه كلها إلى تعيين المعنى المراد من النظم الكريم.

فالتفسير يوظف أول ما يوظف كلمات القرآن ذاتها في بيان بعضها البعض، ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن، ويوظف بيان النبي ﷺ فيما أجمل أو أشكل فهمه أو أبهم معناه، ويوظف أيضا بيان مَنْ شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسبابه وملابساته الزمانية والمكانية والحالية، ويوظف بعد هذا البيانَ القائم على الفهم المؤسس على النظر والاجتهاد، عن طريق توظيف اللغة والعلوم المتصلة بها من نحو وصرف واشتقاق وبلاغة، مع الوقوف على وجوه المناسبات بين أجزائه وخطاباته، وغير ذلك مما يعين على تعيين المعنى[1].

فالتفسير علم له أدواته العديدة وطرائقه المختلفة ومناهجه المتفاوتة.

والناظر إلى "السياق" من حيث الوظيفة التي يؤديها، يجد أنه يهدف إلى تعيين المعنى المراد من الكلام، بالالتفات إلى لغة المتكلم، و حال المُخَاطَبِ وملابسات الزمان والمكان والأحوال.

فإذا كان التفسير علم يبحث عن المعنى المراد من كلام الله عز وجل، عن طريق توظيف أدواته المختلفة، وإذا كان السياق وظيفته تعيين المعنى المراد من الكلام. وبالنظر إلى ما سبق تقريره في معنى التفسير الاصطلاحي فإن العلاقة التي يمكن أن تكون بين التفسير والسياق هي علاقة وظيفية، أي إمكان توظيف التفسير للسياق.

وبما أنه تقرر أن للقرآن سياقا، وأن التفسير يقوم أساسا على السياق -كما يشير إليه تعريف أبي حيان والتعريف الأخير المستنتج- وذلك باعتبار المستويات الدلالية المختلفة للسياق، فإن العلاقة الوظيفية متحققة بينهما، وهي أمر مطلوب وأكيد، ليس كخطوة مرتبتها متأخرة كما أشار إلى ذلك الزرقاني في حديثه عن منهج التفسير[2]، أو الدكتور يوسف القرضاوي في حديثه عن خطوات المنهج الأمثل في التفسير كخطوة رابعة[3]، بل هي خطوة مرتبتها الأولى

---

(1)-انظر التفصيل في: الزرقاني، المناهل، 2/50-51. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (د.ط)، (د.ت)، 1/265-269.

(2)-محمد عبد العظيم الزرقاني، المناهل، 2/50-51.

(3)-يوسف القرضاوي، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1416هـ-1996م، ص:55.

وأنها مرتبة تفسير القرآن بالقرآن، كما سيتبين لاحقا في هذه الدراسة[1].

إن ما يجب على المفسر هو دراسة النص القرآني لغويا، ووفق مقتضيات الأحوال، وذلك من خلال سياقه؛ أي من خلال المجرى الدلالي للنص القرآني في مستوياته الدلالية المختلفة: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي ومستوى الحال المرتبط بملابسات النزول خصوصا.

ولعلّ هذا ما يشير إليه كلام الأستاذ الإمام -فيما ينقله عنه السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار- وهو يتحدث عن مراتب التفسير؛ حيث يقول:

**...وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور: أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد...و الأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة...ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه بعضا، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته[2].**

---

[1]-انظر هذه الدراسة، ص:120_122.

[2]-محمد رشيد رضا، تفسير المنار، بيروت- لبنان، دار المعرفة، (د.ط)، 1414هـ-1993م، 1/21-22.

## المبحث الثالث: مفهوم الدلالة

هذا المبحث يعالج مفهوم الدلالة من الناحية اللغوية والناحية الاصطلاحية، ومن ثم ربط المصطلح بالسياق.

### المطلب الأول: الدلالة في اللغة والاصطلاح

#### أولا- من حيث اللغة

لأئمة اللغة آراء في تصاريف الفعل "دلّ"، فمنهم من جعله من باب: ضَرَبَ يَضْرِبُ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع[1]، ومنهم من جعله من باب: نَصَرَ يَنْصُرُ بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع[2]، وآخرون من باب: عَلِمَ يَعْلَمُ بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع[3].

وفي كلمة "الدلالة" لغات ثلاث:

الدَّلالة، والدِّلالة، والدُّلالة بفتح الدال وكسرها وضمها، كذلك يقال: دُلولة بالضم وقلب الألف واوا، والفتح أعلى وأشهر[4].

وأغلب ما يقصد بها: الهداية والإرشاد[5]، وهي: «...إبانة الشيء بأمارة تتعلمها...»[6] في الأشهر من تداول اللسان العربي.

وهناك من فرّق بين الدَّلالة والدِّلالة بالفتح والكسر، فما كان للإنسان اختيار في معنى الدَّلالة فهو بفتح الدال، وما لم يكن له اختيار في ذلك فبكسرها[7].

---

(1)-ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلل. الزبيدي، تاج العروس، مادة: دلل.

(2)-ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلل. الفيومي، المصباح المنير، مادة: دلل.

(3)-الفيومي، المصباح المنير، مادة: دلل.

(4)-الزبيدي، تاج العروس، مادة: دلل.

(5)-ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلل.

(6)-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 252/2.

(7)-أبو البقاء الكفوي، الكليات، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1413هـ-1993م، ص:439.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### ثانيا ـ من حيث الاصطلاح

أما من الناحية الاصطلاحية، فإن الدلالة في مفهومها العام من المباحث المنطقية، و«هناك أكثر من تعريف للدلالة عند القدماء من المناطقة والفلاسفة خاصة، وكلها تعاريف تقترب من بعضها أو تتكامل»[1].

والتعريف المطلق للدلالة الذي كاد أن يستقر عليه المتأخرون من المناطقة هو: «كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»[2].

وجاء في كتاب التعريفات: «الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»[3].

فإدراك الشيء الأول طريق لإدراك الشيء الآخر إدراكا تاما، وأن الشيء الأول دال والشيء الآخر مدلول.

---

(1)-فخر بن علي الرازي، شرح الغرة، ص:28. نقلا عن: محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي وقائع ندوة جهوية أبريل 1997، بالرباط، اللسانيات في الأقطار العربية، بيروت-لبنان، دار الغرب، ط:1، 1991م، ص:105.

(2)-المصدر نفسه، ص:105.

(3)-الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1416هـ- 1995م، ص:104.

## المطلب الثاني: مفهوم دلالة السياق القرآني

على الاصطلاح السابق من أن الدلالة هي: كون الشيء بحيث يلزم العلم به العلم بشيء آخر، فإن دلالة السياق تتجه إلى العلم به حتى يقع العلم بالمعنى، أي أن السياق يرشد ويهدي إلى دلالة الوحدة اللغوية، بشرط أن يقع العلم بالسياق؛ أي العلم بالمجرى الدلالي الذي يحدد دلالة الوحدة اللغوية، فالعلم بالسياق شرط لازم للعلم بدلالة الوحدة اللغوية، والمجرى الدلالي للنص دال، ودلالة الوحدة اللغوية مدلول.

فمفهوم دلالة السياق هو: كون السياق بحيث يلزم العلم به العلم بالمعاني. أو كون المجرى الدلالي للنص بحيث يلزم العلم به العلم بدلالة الوحدات اللغوية.

ومما سبق فدلالة السياق القرآني تتجه هي أيضا إلى العلم بالسياق القرآني، أي العلم بالمجرى الدلالي للنص القرآني، حتى يقع العلم بمدلولات الوحدات النصية القرآنية. وكون السياق القرآني يوظف في العملية التفسيرية فإن دلالة السياق تتجه إلى العلم بالتفسير؛ أي أن السياق القرآني يرشد ويهدي إلى التفسير، بشرط أن يقع العلم به.

وعلى هذا فإن إدراك السياق القرآني طريق لإدراك التفسير إدراكا تاما، وأن المجرى الدلالي للنص القرآني دال والتفسير مدلول.

ومن هنا فإن دلالة السياق القرآني هي: **كون السياق القرآني بحيث يلزم العلم به العلم بالتفسير. أو كون المجرى الدلالي للنص القرآني بحيث يلزم العلم به العلم بدلالة الوحدات القرآنية.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## نتائج الفصل الأول:

ونتائج هذا الفصل تتمثل في النقاط الآتية:

1-السياق من الناحية اللغوية يأخذ معاني: التتابع، الترابط، التقييد، والتسلسل.

2-هذه المعاني متصلة بمعنى المجرى الواحد أو الحذو المتبع، وعليه فالسياق من حيث اللغة هو المجرى الواحد الذي يحذوه الكلام في تتابع وترابط وتقييد وتسلسل بين أجزائه ما يجعل الكلام متماسكا في المعنى من بدءه إلى منتهاه.

3-وردت كلمة (السياق) في القرآن الكريم على غير هذه الصيغة، بل على صيغ متنوعة تعود في معناها إلى المعنى اللغوي.

4-السياق كما اصطلحت عليه هذه الدراسة هو: "المجرى الدلالي للنص، يحدد دلالة الوحدة اللغوية العامة أو الخاصة، باعتبار المستويات الدلالية الداخلية (البنيوية) أو الخارجية (المعنوية)، والذي يشكل بناء للنص بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه".

5-السياق من حيث الاصطلاح يراعى فيه توظيف مستويات دلالية متنوعة تشكل في مجملها مجرى دلاليا للنص يمكن من بناءه بناء متماسكا من بدءه إلى منتهاه.

6-المستويات الدلالية للسياق في مجملها تتنوع إلى نوعين أساسيين هما:

أ-المستوى الدلالي الداخلي (البنيوي)؛ أي من داخل النص: وهو جملة الدلالات التي تدخل في بنية النص، وتشمل المستويات: الصوتية، الصرفية والنحوية.

ب-المستوى الدلالي الخارجي (المعنوي)؛ أي من خارج النص: ويتمثل في دلالة الحال أو الموقف الكلامي للنص المرتبط أساسا بالدلالة الاجتماعية الذي قيل فيه النص.

7-الوحدات اللغوية التي يتجه إليها السياق إما أن تكون عامة لا يدخلها الاحتمال، بل تحتمل معنى واحدا، وإما أن تكون خاصة متعلقة بواحد من الاحتمالات التي يعطيها الاشتراك اللفظي أو الترادف أو التضاد أو المعنى المعجمي.

8-نسبة السياق إلى القرآن صحيحة، فللقرآن سياق؛ كون النص القرآني لغويا بالدرجة الأولى، وكون القرآن من حيث معنى مفردته يدل على معنى السياق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

9-السياق القرآني كما اصطلحت عليه هذه الدراسة هو: "المجرى الدلالي للنص القرآني، يحدد دلالة الوحدات القرآنية العامة أو الخاصة، باعتبار المستويات الدلالية الداخلية أو الخارجية، والذي يشكل بناء للنص القرآني بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه".

10-السياق القرآني يراعى فيه من حيث المستويات الدلالية ما يراعى منها في السياق عموما.

11-الوحدات القرآنية إما أن تكون عامة، وهي التي لا يدخلها الاحتمال ودلالتها واحدة، وإما أن تكون خاصة، وهي التي يدخلها الاحتمال وتحتمل المعاني المتعددة.

12-العلاقة بين التفسير والسياق هي علاقة وظيفية؛ أي أن التفسير يوظف السياق كأهم أداة من أدواته، بل إن مفهوم التفسير يتحدد بتوظيفه للمستويات الدلالية المتنوعة للسياق فلا يعدو بذلك من أن يكون كما عرفته هذه الدراسة من أنه: "علم يبحث فيه عن دلالة الوحدات القرآنية من حيث المستويات الدلالية المختلفة للسياق بقدر توظيف المفسر لها."

13-مفهوم دلالة السياق القرآني في التفسير تتجه إلى العلم بالسياق القرآني نفسه؛ أي بالمجرى الدلالي للنص القرآني، ما يعني العلم بمختلف المستويات الدلالية للنص القرآني، ومن ثم يقع العلم بمدلولات الوحدات القرآنية؛ أي يقع العلم بالتفسير.

فإدراك السياق القرآني طريق لإدراك التفسير إدراكا تاما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثاني : السياق في الدراسات اللغوية

## المبحث الأول : السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة

## المبحث الثاني : السياق في الدراسات اللغوية العربية الحديثة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## تمهيد:

اهتم اللغويون في دراساتهم اللغوية القديمة منها والحديثة بالسياق؛ حيث قدَّم القدامى من خلال آرائهم ومؤلفاتهم إشارات تعد مفاهيم أولية لم ترتقي إلى النظرية كما هو الحال عند المحدثين الذين اهتموا بالسياق من خلال ما تقرر في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، وما تقدم من الإشارات السابقة التي للقدامى.

كما ارتبطت الدراسات اللغوية العربية بالقرآن الكريم، سواء القديمة منها أم الحديثة،ما يعني اهتمامها بالسياق في القرآن أو بالسياق القرآني.

وفي هذا الفصل من هذه الدراسة سيكون البحث متجها إلى بيان هذا الاهتمام من خلال الكشف عن:

1-السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة. **وذلك من خلال البحث في:**

-ارتباط الدراسات اللغوية العربية القديمة **بالقرآن الكريم.**

-نظرية النظم وعلاقتها بالسياق.

-**اهتمام** الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق.

2-السياق في الدراسات اللغوية العربية الحديثة. **وذلك من خلال البحث في:**

-مدرسة "فيرث" الحديثة ونظرية السياق.

-**اهتمام الدراسات اللغوية** العربية الحديثة **بنظرية السياق.**

-**اهتمام الدراسات اللغوية العربية** الحديثة بالسياق القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الأول: السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة

### المطلب الأول: ارتباط الدراسات اللغوية العربية القديمة بالقرآن

وُجدت اللغة من أجل التعبير عن الأغراض المرادة لأصحابها، وهي ذلك الجانب المنطوق «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]. ولما كانت النصوص اللغوية العربية محفوظة بطريق الرواية والمشافهة؛ فإن علماء اللغة العربية نهجوا إلى جمع تلك النصوص عن طريق السماع والتدوين، ليقيموا بعد ذلك دراساتهم لذلك الكم الضخم من الثروة اللغوية، فاستنبطوا القواعد المتصلة باللغة والنحو والصرف والبلاغة والأصول والعروض، وأقاموا عليها أحكامهم، وكان هذا كله سعيا منهم لحفظ القرآن الكريم من اللحن[2]، الذي أخذ طريقه إلى اللسان العربي، لاختلاط العرب باللسان العجمي بعد انتشار الإسلام في الآفاق.

لقد اتصل الدين الإسلامي باللغة العربية اتصالا وثيقا[3]، جعل منها لغته المعبرة عن مقاصده الشريفة، فكانت اللغة بهذا الاعتبار من الدين تمثل إحدى شعائره، فكان الباعث على اهتمام علماء اللغة في دراساتهم اللغوية المختلفة هو ضبط تلك النصوص القرآنية عن طريق ضبط تلك اللغة المعبر بها، والتي صارت لغة القرآن، فكان المتصدي للغة غالبا ممن اتصل بعلوم الدين كعلمي القراءات والتفسير. «ولقد اعتبرت بعض كتب اللغة من كتب التفسير مثل: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى[4] و"معاني القرآن" لأبي زكرياء الفرَّاء[5] وغيرهما؛ ذلك أن

---

[1]-عثمان بن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ص:33.

[2]-عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مصر، (د.ن)، ط:2، 1406هـ-1986، ص:47-50.

[3]-انظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:3، 1408هـ-1987م، ص:108-115.

[4]-هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري أبو عبيدة، عالم باللغة والشعر والأخبار والنسب، له نحو مائتي مؤلف منها: "مجاز القرآن" و"إعراب القرآن" و"غريب القرآن" و"بحار القرآن" ولد بالبصرة سنة:110هـ وبها توفي سنة: 209هـ. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال،155/4، الزركلي، الأعلام،191/8، عادل نويهض، معجم المفسرين، 681/2.

[5]-هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفرَّاء، أعلم الكوفيين بالنحو واللغة وفنون الأدب، أجل أصحاب الكسائي، فقيه متكلم يميل إلى الاعتزال، ذكره ابن حبان في الثقات، عالم بآداب العرب وأخبارها عارف بالنجوم والطب، من مؤلفاته: "معاني القرآن". ولد سنة: 144هـ وتوفي سنة:207هـ. انظر: ابن حبان، الثقات، 256/9 ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 112/11، ابن العماد، شذرات الذهب، 19/2. الزركلي، الأعلام، 178/9، عادل نويهض، معجم المفسرين، 729/2-730.

أصحاب هذه المصنفات كانوا يعتبرون القرآن الكريم هو المصدر الأصيل للغة العربية فيكفي أن ترد اللفظة باستعمال خاص في القرآن أو بدلالة معينة فيه حتى تصبح قاعدة أصيلة في الاستعمال العربي لا يعارضها استعمال آخر أيا كان مصدره»[1]، ولأنهم أيضا «اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة، ولذا وقفوا منه موقفا موحدا، فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه، ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشيء مما أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة»[2].

وضبط النصوص القرآنية يعني التقعيد للغة القرآن؛ أي ضبط القواعد المستفادة من اللغة التي جاءت بها تلك النصوص القرآنية في إطار شواهد اللغة العربية ذاتها، لتصير تلك القواعد المتصلة بلغة القرآن أصلا ترجع إليه اللغة العربية نفسها ومصدرا أولا لقواعدها.

فالتوجه لخدمة لغة القرآن أثمر خدمة جليلة للغة العربية عموما، فقد صان هذا الصنيع القرآن من التبديل والتحريف وساهم في حفظه، كما صان معه اللغة العربية من الضعف أو الجمود أو التحول.

والاهتمام بلغة القرآن جلب الاهتمام بمسألة إعجازه، التي تعتبر أهم قضية متصلة به وبلغته على الخصوص، فقد شغلت هذه المسألة الدارسين اللغويين الذين بذلوا الجهد عبر دراسات لغوية مطولة انتهوا من خلالها إلى إثبات الإعجاز القرآني، فاتفقوا على أنه لغوي بدرجة أولى واختلفوا في وجوهه اللغوية على أقوال عديدة، أشهرها ما انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني [3] من خلال "نظرية النظم" التي أرسى دعائمها مَنْ سبقوه وأقام هو بنيانها من خلال كتابه: "دلائل الإعجاز"، فيُبيِّن أن القوم الذين شوفهوا بالقرآن «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها...وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشْرًا عُشْرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة

---

(1)-محيي الدين بلتاجي، دراسات في التفسير وأصوله، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط:1، (د.ت)، ص:145.

(2)-أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، القاهرة، عالم الكتب، ط6، 1988، ص17.

(3)-هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، من أئمة اللغة وواضع أصول البلاغة، متكلم فقيه عارف بالتفسير، من أهل جرجان مولدا ووفاة، اشتهر بكتابيه: "دلائل الإعجاز" في علم المعاني، و"أسرار البلاغة" في علم البيان، وله "إعجاز القرآن" و"تفسير الفاتحة". توفي سنة:471هـ. انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 340/3، عادل نويهض، معجم المفسرين، 295/1.

ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، واتقانا وإحكاما...» [1].

وهناك فريق من أهل اللغة من اهتم بالجانب البلاغي، جعل من القرآن الكريم محط رحال دراسته اللغوية الطويلة، فاتجه إلى تفسيره معتمدا على رصيده المعرفي مبرزا ما توصل إليه من دراساته البلاغية من خلال بلاغة القرآن، فجاءت تفاسيره كدراسات بلاغية للبلاغة العربية من خلال بلاغة القرآن الكريم، ولعلّ الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف قدم دراسة لغوية بلاغية خدم بها القرآن مستعينا بالبلاغة العربية لينتج في النهاية دروسا بلاغية تفيد اللغة العربية ذاتها.

إن الدراسات اللغوية العربية القديمة اتصلت بالقرآن اتصالا وثيقا، كان في بدئه اتصال الأصل بالفرع؛ حيث كانت اللغة العربية أصلا يرجع إليه كشواهد لضبط لغة القرآن وكشف معانيها. ثم صار اتصال الفرع بالأصل؛ إذ أن القرآن صار أصلا أولا يرجع إليه أهل اللغة يستندون إليه في دراساتهم اللغوية.

فالارتباط وثيق والاهتمام أكيد؛ إذ الهدف الأسمى المنشود هو خدمة الدين الإسلامي عن طريق خدمة لغة القرآن واللغة العربية.

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، ط:3، 1413هـ-1992م، ص:39.

## المطلب الثاني: نظرية النظم وعلاقتها بالسياق

### أولا- تطور فكرة النظم

إن فكرة النظم قديمة قدم الدراسات اللغوية العربية، لم تتبلور في شكل نظرية إلا على يدي عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز".

غير أن أول من اهتم بفكرة النظم هم النحاة، ويمكن أن يكون سيبويه (ت:180هـ) الرائد الأول لها، على أن أقدم إشارة لها واردة عند ابن المقفع[1](ت:142هـ) في كتابه "الأدب الصغير"، ثم تحدث عنها الجاحظ (ت:255هـ) الذي أطلق على بعض كتبه عنوان "نظم القرآن"، ثم تلاه ابن قتيبة[2](ت:276هـ) صاحب "مشكل القرآن"، ثم جاء أبو عبد الله يزيد الواسطي[3](ت:306هـ) وألف كتابا في إعجاز القرآن أسماه "إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" ثم جاء أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي[4](ت:388هـ) فمهّد لنظرية النظم بما قرّره من آراء متصلة أساسا بإعجاز القرآن، ثم جاء أبو بكر الباقلاني (ت:406هـ) فأخذ بفكرة النظم وبنى عليها رأيه في الإعجاز في كتابه "إعجاز القرآن".

لكن القاضي عبد الجبار (ت:415هـ) كان قد أشار إلى فكرة توخي معاني النحو في

---

(1)-هو: عبد الله بن المقفع، من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، كان مجوسيا ثم أسلم، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة، وهو أشهر كتبه، له: الأدب الصغير، والأدب الكبير، ورسالة الصحابة، واليتيمة. ولد سنة:106هـ وقتل بالبصرة سنة:142هـ بعد اتهامه بالزندقة. انظر: الزركلي، الأعلام، 140/4.

(2)-هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، العالم الناقد من أئمة الأدب من المصنفين المكثرين، أخذ علوم: الحديث، الفقه، اللغة، التفسير، النحو، الأدب والأخبار. وولي القضاء. من مصنفاته: مشكل القرآن، غريب القرآن، تأويل مختلف الحديث، أدب الكاتب، عيون الأخبار، الشعر والشعراء... ولد سنة:213هـ وتوفي سنة: 276هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، 280/4، عادل نويهض، معجم المفسرين، 327/1-328.

(3)-هو: محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، أبو عبد الله، معتزلي من كبار علماء الكلام، أصله من واسط سكن بغداد وتوفي بها سنة: 307هـ، من مؤلفاته: "إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه". انظر: عادل نويهض، معجم المفسرين، 530/2.

(4)- هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، البستي، أبو سليمان، من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل. من مصنفاته: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين... ولد سنة: 319هـ وتوفي سنة: 388هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، 273/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل" ومن قبله القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني[1] (ت:392هـ) تحدث عن النظم في كتابه "الوساطة بين المتني وخصومه" وأزال بعض الغموض الذي يحيط بفكرة النظم، مشيرا إلى تتبع معاني النحو؛ إذ كانت نظرية النظم متبلورة في ذهنه لكنه لم يستطع الإفصاح عن مزاياها التي تنشأ عن توخي معاني النحو، وإن مَثّل لها وصوَّرها.

فلما جاء عبد القاهر الجرجاني أفاد من جهود سابقيه كثيرا وتلقى أفكارهم، خاصة آراء عبد الجبار والقاضي الجرجاني، كما أفاد من جهود النحاة في دراسته للتراكيب والتعرف على خصائصها المختلفة، فكان أول من حلّل الكلام تحليلا علميا لاهتمامه بالنحو ومعناه الواسع في منهج علمي دقيق سبق به علماء عصره، فأنتج بذلك نظرية النظم، وأفصح عنها وبيَّنها واستدل لها ودافع عنها حتى صارت فكرة النظم التي دارت الدراسات السابقة حولها نظرية متكاملة تنسب لعبد القاهر الجرجاني؛ إذ كان أقدر الدارسين إفصاحا عنها وعن مزاياها[2].

**ثانيا- نظرية النظم**

النظم في اللغة بمعنى التأليف، أي ضم الشيء إلى شيء آخر، تقول: نظمت اللؤلؤ؛ أي جمعته في السلك، وكل شيء قرنته بآخر وضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته[3].

ونظمت الأمر فانتظم؛ أي أقمته فاستقام، وهو على نظام واحد، أي نهج غير مختلف والانتظام الاتساق[4].

إذن النظم من حيث اللغة يدور معناه حول معنى واحد هو: التأليف.

أما في الاصطلاح فهو: «تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على

---

(1)-هو: علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن، القاضي، من العلماء بالأدب، كثير الرحلات، له شعر حسن، ولد بجرجان، وولي قضاءها ثم قضاء الري، فقضاء القضاء، توفي بنيسابور سنة 392هـ وهو دون السبعين، من كتبه "الوساطة بين المتني وخصومه"، "تفسير القرآن"، ديوان شعر، "تهذيب التاريخ"، وغيرها. انظر: الزركلي، الأعلام 300/4.

(2)-انظر: حسن إسماعيل عبد الرزاق، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية، ط:1، 1983، ص: 60-81. وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دمشق- سوريا، دار الفكر، ط:1، 1403هـ-1983م، ص:58-63.

(3)-ابن منظور، لسان العرب، مادة: نظم، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة: نظم، ص:1162، الرازي، مختار الصحاح، ص 421.

(4)-الفيومي، المصباح المنير، ص:234. الرازي، مختار الصحاح، ص:421.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسب ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل»[1].

وقريب من هذا التعريف قول عبد القاهر الجرجاني: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم[2] بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض»[3].

ما يلاحظ ابتداء على التعريف اعتبار السياق في تعليق الألفاظ أو الكلم بعضها ببعض مترتبة المعاني ومتناسبة الدلالات؛ إذ لا يكون التعليق إلا وفق أغراض في نفس المتكلم، هذه الأغراض يدل عليها السياق الوارد فيه تلك الألفاظ أو الكلم.

قوله في التعريف الأول: "على حسب ما يقتضيه العقل" أو "على ما يقتضيه العقل" اقتضاء العقل في تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات يعني أن تعلّق الكلم بعضه ببعض لا يكون بتوالي الألفاظ في النطق ، بل يكون بتناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي تقع فيه مترتبة في النفس؛ إذ النظم «صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة، وإذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة، ويستخرج بالروية، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس؟ بالمعاني أم بالألفاظ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك، وتقع فيه صباغتك ونظمك، وتصويرك»[4].

وتلبس الفكر بالمعاني أو الألفاظ يعني «أن تكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجنبه أو قبله وأن تقول: هذه اللفظة إنما صلحت هاهنا لكونها على صفة كذا، أم لا يعقل إلا أن تقول: صلحت هاهنا لأن معناها كذا ولدلالتها على كذا، ولأن معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا، ولأن معنى ما قبلها يقتضي معناها»[5]، فالألفاظ على هذا النحو هي: «رموز للمعاني المفردة، وهي أوعية لها تتبعها في مواضعها في السياق، والمعاني هي الأصل؛ لأن الألفاظ سمات للمعاني وخادمة لها وضعت لتدل عليها»[6].

---

(1)-الشريف علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، ص:242.

(2)-الكلم: ما ترتب من ثلاثة كلمات فأكثر، سواء أكان جملة مفيدة أم غير مفيدة. انظر: محمد التونجي، راجي الأسمر المعجم المفصل في علوم اللغة، 484/1.

(3)-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:4.

(4)-المصدر نفسه، ص:51.

(5)-المصدر نفسه، ص:52.

(6)-وليد محمد مراد، نظرية النظم، ص:121.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنتائج المستخلصة مما سبق هي:

1-المعاني سابقة على الألفاظ؛ أي أن الناظم لكلام ما تسبق في ذهنه المعاني التي يطلبها، فإذا تمكن منها جاءت الألفاظ المعبرة عن تلك المعاني تباعا مترتبة على ترتيب المعاني في الذهن؛ أي ترتيب الألفاظ في النطق يكون على حسب ترتيب المعاني في النفس.

2-ترتيب المعاني لا يقع إلا بالنظر والتفكر في حال اللفظ مع اللفظ حتى يتمكن من وضعه الموضع الصحيح، وذلك بملاحظة وجود الترابط بين الألفاظ؛ أي تعليق الكلم بعضها ببعض.

3-ترتيب المعاني، وكما يلاحظ فيه تعلق بعضها ببعض، يلاحظ فيه أيضا تناسب بعضها مع بعض وفق السياق الذي وردت فيه.

وهذه النتائج هي مقدمات مهمة لا بد منها للوقوف على "نظرية النظم" كما عبر عنها عبد القاهر الجرجاني وتحدث عن جوانبها.

1-فالنظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض، وبناء بعضها على بعض وجعل هذه بسبب من تلك، هذا التعليق لا يكون إلا بتوخي معاني النحو.

يقول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أنه ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»(1).

وتفصيل هذا الكلام هو: أن يُنظر في وجوه كل باب وفروقه، فيُنظر في "الخبر" وفي "الشرط" و"الجزاء" وفي "الحال" فيُعرف لكل من ذلك موضعه، ويُؤتى به حيث ينبغي له ويُنظر في "الحروف" التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيُوضع "الفصل" فيهما موضع "الوصل"، ثم يُعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع "الفاء" من موضع "ثم" وموضع "أو" من موضع "أم" وموضع "لكن" من موضع "بل" ويُتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والإضمار

(1)-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والإظهار، فيصاب بكل من ذلك مكانه ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي له.[1]

يقول عبد القاهر: «وهذا هو السبيل، فلَسْت بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأً إلى "النظم" ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه»[2].

«فعبد القاهر لا يقصد من "النظم" إلا تأليف الكلام وفقا لأبواب النحو المختلفة»[3].

2-والنظم عنده مرتبط ارتباطا وثيقا بالصياغة[4] وبالتصوير الفني، ففي الفصل المتعلق بالفرق بين حروف منظومة وكلم منظومة، وعند حديثه عن "نظم الكلم" قال: «...فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح»[5].

فالصياغة كما يراها عبد القاهر هي نظيرة للنظم، وأنها متعلقة به؛ إذ "النظم" يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس ضم الكلم بعضه إلى بعض كيف جاء واتفق في النطق، بل لا بد من اعتبار تناسق الدلالات وتلاقي المعاني في المنظوم على الوجه الذي اقتضاه العقل فيقول: «وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق، بعد أن ثبت أنه نظم يُعتبر فيه حال المنظوم مع بعض وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويف والنقش، وكل ما يقصد به

---

[1]-المصدر السابق، ص:82.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:82-83.

[3]-وليد محمد مراد، نظرية النظم، ص:56.

[4]- الصياغة: هي الأسلوب الذي يصوغه الأديب للتعبير عن أفكاره بطريقة واعية مدركة لرصف الكلام، بحيث يتكون منه وحدة فنية تلبس الموضوع ثوبا لائقا به. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 272/1.

[5]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:49.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التصوير...»[1].

وفي العبارة الأخيرة في قوله: «وكل ما يقصد به التصوير» يشير فيها عبد القاهر إلى أن غاية الصياغة والتحبير والتفويف والنقش هي التصوير الفني في الكلام، فالصياغة والتصوير بهذا الاعتبار بينهما تلازم وثيق، لذلك فهو يقول: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يُعبَّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه»[2].

«ينظر عبد القاهر إلى الفضة الحاملة لتلك الصنعة، وإلى الذهب الذي وقع فيه العمل ويمعن في جودة الصناعة ورداءتها، ليعرف الفضل والمزية في نظم الكلام وجودة المعاني»[3] والذي هو متعلق بحسن الصياغة وجمال التصوير؛ أي أن المزية في الكلام ليس في مجرد معناه بل هو أيضا في حسن صياغته وجمال تصويره، والنظم والترتيب في الكلام «عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي»[4].

فعبد القاهر قد وصل إلى رأي حاسم فيما يخص علاقة اللفظ بالمعنى، وهو: «أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه، وأن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر في الضمير، إنما من حيث أنه ممثل في لفظ يدور البحث فيه، وأن المعنى مقيَّد في تحديده بالنظم الذي يؤدى فيه...»[5]، فالمعاني الواقعة في الذهن لا مزية لها ما لم توضع في ألفاظ، ولا مزية للألفاظ ما لم تصغ صياغة حسنة وتصوَّر تصويرا فنيا، وتُربط بالنظم الذي تؤدى فيه، مع مراعاة حال

[1]-المصدر السابق، ص:50.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:254-255.

[3]-وليد محمد مراد، نظرية النظم، ص:137.

[4]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:359.

[5]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، بيروت-لبنان، دار الشروق، ط:13، 1413هـ-1993م، ص:240.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المنظوم بعضه مع بعض، أي اعتبار أجزاء الكلام بعضه مع بعض، والذي يعني اعتبار "السياق" الوارد فيه تلك الألفاظ المنظومة المصوغة المصورة.

3-ومن جوانب نظرية "النظم" عند عبد القاهر الجرجاني اعتبار "السياق"، وأن مزايا النظم ليست في نفسها بل هي متصلة بالسياق، فيقول في فصل عقده من كتابه عنوانه "فصل في أن هذه المزايا في النظم بحسب المعاني والأغراض التي تؤم": «وإذ قد عرفت أن مدار "النظم" على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم أعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض...بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تَؤُمُّ»[1].

هذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى "السياق" بقسميه: اللغوي وغير اللغوي (سياق الحال) أما الأول ففي قوله: «ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض»، وقوله: «إلا بحسب الموضع»، وأما الثاني ففي قوله: «ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام»، وقوله: «وبحسب المعنى التي تريد والغرض الذي تَؤُمُّ».

بل إن عبد القاهر لم يكتف بالإشارة، بل زاد الأمر وضوحا في الفصل الموالي "فصل في النظم يتحد في الوضع، ويدق فيه الصنع" وإن لم يصرح بلفظة "السياق" كمسمى، فإنه صرح بالمضامين فيقول: «واعلم أن مما هو أصل في أن يَدِقَّ النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك»[2].

وهذا الكلام يتجه إلى الغاية التي يحققها "السياق" وهي بناء النص بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:87.

[2]-المصدر نفسه، ص:93.

ثم يقول: «وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة»[1]، وكأنه بهذا يشير إلى طبيعة "السياق" وما يتضمنه من جملة الدلالات المختلفة في المستويات العديدة والمتداخلة والمترابطة.

وإذا كان عبد القاهر التفت إلى السياق من خلال ربط "النظم" به، فإنَّه يعتبره أعلى وأعظم أنماط الكلام، والذي لا تظهر مزايا النظم وتعظم إلا فيه، فيقول: «وإذ قد عرفت هذا النمط من الكلام، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعا واحدا، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمة فيه»[2].

فهو بهذا يجعل من السياق بتعبير المحدثين "قرينة كبرى" تعين على تجلية مزايا النظم والمتعلقة بتوخي معاني النحو؛ أي بتعبير تمام حسان "كبرى القرائن النحوية".

هذا وإن عبد القاهر من خلال كلامه يكاد يجعل من فكرتي "النظم" و"السياق" فكرة واحدة؛ أي تكاد فكرة "النظم" أن تكون هي عينها فكرة "السياق" في قسمه اللغوي، فإذا كان "السياق اللغوي" كما يقصد به المحدثون عبارة عن «الأصوات والكلمات والجمل كما تتابع في حدث كلامي معين، أو نص لغوي»[3]. فإن "النظم" لا يختلف مفهومه عن هذا؛ إذ يقصد به عبد القاهر ترتيب الألفاظ وتعلق بعضها ببعض في نسق واحد.

إلا أن هناك فرقاً جوهريًا بين الفكرتين، ويتمثل في كون «العلاقة بين الوحدات اللغوية في السياق اللغوي أساسها البحث عن الدلالة، فالسياق عامل أساسي في توضيح الدلالة إذا ما كان هناك لبس أو غموض في المعنى المعجمي لكلمة ما، أما النظم عند عبد القاهر فهو إبراز لقيمة المعاني النحوية التي تنشأ نتيجة للعلاقات القائمة بين الألفاظ في السياق وما لهذه المعاني من أبعاد بلاغية»[4]، بمعنى أن "السياق" اللغوي متجه إلى العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب لغوي معين، أما النظم فيتجه إلى العلاقات النحوية القائمة بين الكلمات داخل تركيب لغوي معين وما ينتجه من معاني.

---

[1]-المصدر السابق، ص:93.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:95.

[3]-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:161.

[4]-مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، ص:20.

فالنظم بهذه الصورة أخص من "السياق" في قسمه اللغوي[1]، بل أخص من "السياق" عموما بقسميه اللغوي وغير اللغوي، لكن تجمعها علاقة وظيفية قائمة على التكامل الوظيفي بين عملهما، فالنظم لا تتجلى مزاياه التي تحدث عنها عبد القاهر والمتجهة أساسا إلى إبراز المعاني النحوية ما لم ترتبط بالسياق الواردة فيه، مما يعطي الكلام بعده البلاغي، و"السياق" لا يتحقق دلالته دون اعتبار المعاني التي يدل عليها النحو، والتي يهتم بها "النظم" الذي أساسه فكرة توخي معاني النحو، فباعتبار المعاني النحوية إلى جانب المعاني التي تدل عليها المستويات الدلالية الأخرى، يؤدي "السياق" وظيفته في إظهار الدلالة المتعلقة بالوحدات اللغوية، وفي تشكيل التماسك النصي المعنوي.

## المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق

اهتمت الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق بمختلف مستوياته الدلالية، بل إن من الدارسين من اهتم بتطبيقاته على النص القرآني، وذلك لأنهم أدركوا أهميته في الوصول إلى الكشف عن المعاني الحقيقية المرادة من الكلام.

إلا أنه -وكما يرى المحدثون من اللغويين- فإن هذه الدراسات لم تنته إلى وضع نظرية متكاملة حول "السياق" بل إنها دارت حول مفاهيم متعلقة به وكتوظيفه دلاليا؛ أي كدال يعين على الكشف عن المعنى المراد من الكلام.

**أولا-** تشير دراسات لغوية حديثة إلى أن من الدارسين القدامى من اهتم بالسياق في المستوى الاجتماعي أو "سياق الحال" والذي نال القسط الأوفر من الاهتمام.

وأول من اهتم بذلك سيبويه[2] في كتابه، حيث ربط في كثير من المواطن معاني الجمل بدلالات تفهم من الحال أو المقام الذي قيلت فيه، فجملة: "إذا كان غدا فأتني"، شرح الإضمار في "كان" بقوله: «والمعنى أنه لقي رجلا فقال له: إذا كان ما نحن عليه من السلامة أو كان ما

---

(1)-انظر: تعريفه في هذه الدراسة، ص:63_64.

(2)- هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه والتي تعني بالفارسية رائحة التفاح، من شيراز وقدم البصرة، إمام النحاة وأول من بسط النحو، تلميذ الخليل بن أحمد، صنف كتابه المسمى: "كتاب سيبويه" في النحو، ولد سنة: 148هـ وتوفي بالأهواز سنة: 180هـ على خلاف في ذلك. انظر: الأعلام، الزركلي، 81/5.

نحن عليه من البلاء في غدٍ فأتني، ولكنهم أضمروا استخفافا؛ لكثرة "كان" في كلامهم، لأنه الأصل لما مضى وما سيقع»[1]، وقال في جملة: "مَكّةَ وربِّ الكعبة": «إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحج، قاصدا في هيئة الحاج»، وفي جملة "القرطاسَ واللهِ" إذ «رأيت رجلا يسدد سهما قبل قرطاس...وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس»، وجملة: "الهلالَ وربِّ الكعبة" إذا «رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا»[2].

وفي قولهم: "مرحبا وأهلا" يقول: «فإنما رأيت رجلا قاصدا إلى مكان أو طالبا أمرا فقلت: مرحبا وأهلا؛ أي أدركت ذلك وأصبت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيَّاه، وكأنه صار بدلا من رَحُبَتْ بلادك وأَهِلَتْ»[3].

«وهناك نصوص كثيرة أخرى في الكتاب لسيبويه تجد فيها ربطا مباشرا بين التركيب النحوي والحال التي يقال فيها؛ خاصة حيث يتحدث سيبويه عن الحذف والإضمار في الجملة العربية»[4]، ممثلا لذلك بالمنقول من كلام العرب كما سبق، وببعض الآيات القرآنية، «ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:135]، أي بل تتبع ملة إبراهيم حنيفا، كأنه قيل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾»[5].

ثم إن الجاحظ[6] كان أكثر الدارسين اللغويين القدامى انتباها إلى السياق في مستوياته الدلالية المختلفة، حيث يقول: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصْبَةً

---

(1)-سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:3، 1408هـ-1988م، 224/1.

(2)-المصدر نفسه، 257/1.

(3)-المصدر نفسه، 295/1.

(4)-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، نصوص ودراسات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1995م ص:241.

(5)-سيبويه، الكتاب، 257/1.

(6)-هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، من رؤساء المعتزلة، كان مشوه الخلقة، له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، البيان والتبيين، سحر البيان، البخلاء، مسائل القرآن. ولد بالبصرة سنة: 163هـ، وتوفي بها سنة: 255هـ قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. انظر: الزركلي، الأعلام، 74/5.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والنِّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات»[1].

ويقول أيضا مبينا أن الصوت من عناصر السياق «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»[2].

فالمستويات الدلالية للسياق عنده ستة: اللفظ والإشارة والحركة والعقد والخط والنصبة التي هي الحال، والصوت.

والمستوى الدلالي الذي عبَّر عنه بالنِّصبة أو الحال لقي منه عناية بالغة، إذ قال[3]:

**خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع...فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إمَّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإمَّا عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال[4].**

هذا القول في مضامينه يلتقي كثيرا من الذي قرره اللغويون المحدثون الغربيون، الذين تناولوا "نظرية السياق" وتكلموا عن الأركان الأساسية التي لا بد منها في دراسة اللغة، والتي منها الاعتماد في التحليل اللغوي على "سياق الحال" مع ملاحظة ما يتصل بهذا السياق من ملابسات متمثلة في شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وأثر الكلام في المستمعين والظواهر الاجتماعية والمناخية المحيطة بالكلام، وأيضا وجوب تحديد بيئة الكلام والاقتصار على

---

(1)-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:5، 1405هـ-1985م 176/1

(2)-المصدر نفسه، 79/1.

(3)-هذا الكلام لبشر بن المعتمر (ت: 210هـ)، ينسبه بعض اللغويين المحدثين للجاحظ وليس له بل ينقله عن بشر. وهو: بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهيل، فقيه معتزلي مناظر من أهل الكوفة، له مصنفات في الاعتزال منها قصيدة في أربعين بيت رد فيها على جميع المخالفين لمذهبه. توفي ببغداد. انظر: الزركلي، الأعلام، 55/2.

(4)-الجاحظ، البيان والتبيين، 135/1-136.

نوع واحد أو مستوى كلامي واحد للغة المدروسة[1].

هذا الالتقاء في المضامين يعطي لا شك أسبقية الكشف للدراسات اللغوية العربية القديمة، وإن لم يتبلور في شكل ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة عند الغربيين. ولعلّ هذه الأخيرة استلهمت ما قررته من كشوفات الأولى، والتي جاءت كإشارة واضحة وإن لم ترقى إلى الضبط الذي يؤهلها لأنها تكون نظرية متكاملة في هذا المجال.

ثم إن الحديث عن النّصبة أو الحال عند الجاحظ لا يكتمل إلا بالربط بين ثلاثة عناصر أساسية هي: أقدار المعاني وأقدار المستمعين وأقدار الحالات فـ: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يُقَسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويُقَسِّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[2].

ويتجه ابن جني[3] من خلال كتابه "الخصائص" إلى وجوب الإحاطة بظروف الكلام وعدم الاكتفاء بالسماع، بل لا بد من الحضور والمشاهدة، فبيَّن أن الألفاظ المنقولة عن الأوائل كانت لها أسباب لم يشاهدها الأواخر، وأن معانيها لا تحصل إلا بالالتفات إلى تلك الأسباب؛ أي الوقوف على وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد من أغراضها، فالمشاهدة والحضور أو الإحاطة بظروف الكلام يفيد المعاني على الحقيقة، وليست الروايات والسماعات تؤدي إلى استفادة ذلك ما لم يوقف على قصود العرب وغوامض ما في أنفسها، فقد تدل إشارة على المعنى الحقيقي لا العبارة.

ومثّل لهذا بقولهم: رفع عقيرته، إذا رفع صوته، وهو أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته؛ أي رجله المعقورة[4].

---

(1) -انظر هذه الدراسة ص:62-63.

(2) -الجاحظ، البيان والتبيين، 1/138-139.

(3) - هو: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو، له شعر، من مصنفاته: شرح ديوان المتنبي، المحتسب سر الصناعة، الخصائص، اللمع. توفي ببغداد سنة: 392هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، 48204.

(4) -ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، ط:2، (د.ت)، 248/1.

ويتوقف ابن جني أمام المستوى الصوتي مبرزا معالمه المتمثلة في التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، وارتباطه بالحال، إذ يقول عند حديثه عن الحذف:

**وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه (صاحب الكتاب) من قولهم: يسير عليه ليل. وهم يريدون ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها؛ وذلك أنه تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا. فتزيد في قوة اللفظ بـــ(والله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها؛ أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا. وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا. وتزوِّي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزاً ومبخَّلا أو نحو ذلك[1].**

وابن جني بهذا يوظف مستويات الصوت المختلفة وذلك بربط الأصوات بملامح الوجه وبحركة الجسم عند الكلام في المقام الذي تصدر فيه تلك الأصوات ليعطي دلالة حقيقية للمقال، وهو بهذا متقدم جدا في دراسته الدلالية المبنية على اعتبار الصوت في مراعاة الحال أو المقام.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد سبق الحديث عن اهتمامه بالسياق من خلال نظرية "النظم" في المبحث السابق، والخلاصة أنه انتهى إلى وجود علاقة بين النظم والسياق تتمثل في التكامل الوظيفي بينهما، فلا مزية للنظم دون السياق، ولا دلالة للسياق دون اعتبار النظم.

**ثانيا- أما عن** الدراسات اللغوية القديمة التي اهتمت بالسياق القرآني، فإن الدارسين الذين اهتموا بالقرآن في دراساتهم اللغوية التفتوا إلى القرآن ذاته جاعلين من سياقه الكاشف عن معنى الألفاظ.

فقد استعان أبو عبيدة بالسياق القرآني نفسه في توضيح معنى اللفظ في كتابه "مجاز

---

(1)-المصدر السابق، 2/370-371.

القرآن"، وكذلك فعل الأخفش[1] والفرّاء في كتابيهما "معاني القرآن" [2].

كذلك فإن الراغب الأصفهاني[3]في كتابه "المفردات في غريب القرآن" اهتم «بالاستعمال السياقي للمفردات الذي يؤدي إلى إنتاج دلالات مختلفة»[4]، فمثلا أتى بكلمة "أبو" في عدة سياقات، أو تراكيب نحوية أدت إلى وجود بعض المعاني المرتبطة بتلك السياقات، مع التعليل لذلك، وهي: أبو الأضياف، وأبو الحرب، وأبو عذرتها[5]. فأبو الأضياف لتفقدهم إياهم، وأبو الحرب لمُهيِّجها، وأبو عذرتها لمُفْتَضِّها[6].

ومن ذلك قوله: «حرف الشيء: طرفه... يقال: حرف السيف، وحرف السفينة وحرف الحبل وحروف الهجاء أطراف الكلمة، والحروف العوامل في النحو: أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض...» [7]. «وما يضاف إليه "الحرف" هو الذي يوضح الدلالة ويبينها»[8]، وهو في الحقيقة قيد زائد مرتبط بمدلول اللفظ يقتنصه الراغب من السياق[9].

---

[1]-هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي إمام العربية أديب، كان معتزليا، قرأ النحو على سيبويه، من كتبه: تفسير معاني القرآن. توفي سنة: 215هـ. انظر: عادل نويهض معجم المفسرين، 210/1.

[2]-انظر: عيس شحاته عيسى علي، العربية والنص القرآني، ص:409-428، ص:440-446.

[3]- هو:الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، أديب إمام من حكماء العلماء اشتهر بالتفسير واللغة، أصله من أصفهان وسكن بغداد، من مؤلفاته: تحقيق البان في تأويل القرآن، تفسير الراغب، المفردات في غريب القرآن، توفي سنة:502هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، 255/2. عادل نويهض، معجم المفسرين، 158/1-159.

[4]-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص:106.

[5]-المصدر نفسه، ص:106.

[6]-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، بيروت-لبنان، ط:4، 1426هـ-2005م، ص:16.

[7]-المصدر نفسه، ص:121.

[8]-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص:106.

[9]-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، (د.ط)، (د.ت) 172/2.

## المبحث الثاني: السياق في الدراسات اللغوية العربية الحديثة

### المطلب الأول: مدرسة "فيرث" الحديثة ونظرية السياق

إن السياق في الدراسات اللغوية الحديثة الغربية أو العربية يدرس ضمن نظرية متكاملة الأجزاء كما يراها اللغويون المحدثون هي "نظرية السياق"، هذه النظرية تنسب إلى مدرسة لندن اللغوية وعلى رأسها "جون روبيرت فيرث"[1] "J.R.Firth" (1890-1960م)، إلاّ أن الفضل يعود إلى العالم مالينوفسكي[2] (Malinowski) (1884-1942م) الذي قدم الخطوط العامة لفكرة "سياق الحال" التي نالت إعجاب "فيرث" والذي بدوره أشار إلى أن أهم إضافة قدمها مالينوفسكي هي:

1-تقديمه نظرية عامة، وبخاصة استعماله لتصورات "سياق الحال" وأنماط الوظائف الكلامية.

2-تقريره أن معنى اللفظة يتحدد بالإشارة إلى السياق الثقافي.

3-بحثه قضية المعنى والترجمة.

4-بحثه صلة اللغة بالثقافة وصلة علم اللغة بالأنثربولوجيا(علم التجمعات البشرية).

وأهم ما في منهج فيرث أنه كان مقتنعا بأن اللغة نشاط اجتماعي ذو معنى، وليست مجرد مُعَبِّر عن الفكر كما كانت تعرف قديما، كما أن السياق الاجتماعي متمم للمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة، وقد استعمل العبارة الإنجليزية Context of situation للدلالة على دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-هو: جون روبيرت فيرث (1890-1960م): لغوي بريطاني وشخصية رئيسية في تطوير علم اللغة ببريطانيا، اشتهر بنظريته السياقية. ولد فيرث في كيغلي يورك شاير بإنكلترا، عمل أستاذا للغة الإنكليزية في جامعة البنجاب بلاهور الهند (1919-1923م)، وأستاذا محاضرا في علم الأصوات في الكلية الجامعية بلندن(1928-1938م)، ورئيسا لقسم علم اللغة العام في جامعة لندن (1928-1956م)، من مؤلفاته: الكلام ، ألسنة الرجال، صفحات في علم اللغة، أوراق منتخبة. انظر: qahtan1@yahoo.com، 2008/11/30م 10سا.30د.

[2]-هو: مالينوفسكي برونيسلاف (1884-1942م): عالم اجتماع بريطاني، اشتهر بدراسته لثقافة شعب جزر تروبرياند في جنوب غربي المحيط الهادي، وبإسهاماته في نظريات الثقافة الإنسانية، ولد في بولندا وعمل بالتدريس في جامعتي لندن وبيل، له عدة مؤلفات منها: مغامرو المحيط الهادي الغربي، الحدائق المرجانية وسحرها. انظر: م.المدروان، الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة لنشر والتوزيع، (1419هـ-1999م)، ط:2، 158/22.

[3]-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص:235-237.

و"نظرية السياق" عند فيرث «قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء ولكنها لا شك تختلف من حيث المنهج وطريقة التطبيق، مما جعل منها نظرية كاملة في دراسة المعنى، فقد كان يرى أن على عالم اللغة إذا ما أراد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي أو الكلامي أن يبدأ أولا بوصف وتحليل الظواهر اللغوية المتصلة به ومحاولة تقعيدها وفقا لخواصها ووظائفها في التركيب، وهذا المبدأ الأساسي هو محور منهج عام في دراسة اللغة عنده»[1].

هذا المنهج العام يقوم على ثلاثة أركان أساسية:

**الأول:** الاعتماد في التحليل اللغوي على سياق الحال أو المقام، مع ملاحظة ما يتصل بهذا المقام أو السياق من ملابسات والتي هي:

1-شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم.

2-العوامل والظواهر الاجتماعية والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام.

3-أثر الكلام في المشتركين فيه، كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك أو غير ذلك[2].

**الثاني:** وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس الاجتماعية أو الثقافية التي تحضن اللغة المراد دراستها ما يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى، كما يجب الاقتصار على نوع واحد أو مستوى كلامي واحد للغة المدروسة، كلغة المثقفين أو لغة العوام أو لغة النثر أو لغة الشعر.

**الثالث:** وجوب تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى للوصول إلى المعنى وفق المستويات التالية: 1-التحليل النحوي 2-التحليل الصرفي 3-التحليل الفونولوجي أو الصوتي. مع ملاحظة أن هذه المستويات مترابطة فيما بينها برباط وثيق، حيث يقود كل مستوى إلى الآخر للوصول في النهاية إلى المعنى اللغوي للكلام[3].

ومما سبق فإن السياق «عند فيرث ينقسم في الحقيقة إلى قسمين:

1-السياق الداخلي للحدث اللغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية

---

(1)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:157-158.

(2)-المصدر نفسه، ص: 158، وانظر:محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم الفقه، ص:237.

(3)-المصدر نفسه، ص:158-159.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين.

2-السياق الخارجي: ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي»[1].

ومعنى هذا أن الوصول إلى المعنى الدقيق للكلمة لا بد فيه من اعتبار المستويات الدلالية المختلفة للغة، وهي المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، بالإضافة إلى مستوى المقام أو الحال عند عملية تحليل الكلام.

«ومفهوم المعنى عند فيرث ليس شيئا في الذهن أو العقل، كما أنه ليس علاقة متبادلة بين اللفظ والصورة الذهنية للشيء، وإنما هو مجموعة من الارتباطات والخصائص والمميزات اللغوية التي نستطيع التعرف عليها في موقف معين، ويحددها السياق، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المعنى إلا بالسير في مراحل وخطوات التحليل»[2]؛ أي المستويات الدلالية للتحليل المشار إليها سابقا.

والسياق عند أتباع فيرث في نظريته على أربعة أقسام هي[3]:

1-السياق اللغوي 2-سياق الموقف 3-السياق الثقافي 4-السياق العاطفي.

إلا أن بعض علماء اللغة المعاصرين يقسمون السياق إلى قسمين: السياق اللغوي وسياق الحال أو الموقف[4].

أما السياق الثقافي والسياق العاطفي فإنهم يدرجونهما في سياق الحال؛ إذ يدخلان ضمن مقتضيات المقام عموما إلى جانب المعطيات الاجتماعية.

**1-السياق اللغوي:** ويتمثل في «الأصوات والكلمات والجمل كما تتابع في حدث كلامي معين، أو نص لغوي، فالأصوات مثلا تكون عادة خاضعة للسياق التي تتركب فيه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:161.

(2)-المصدر نفسه، ص:159.

(3)-انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:69. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:295.

(4)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:161.

فيتأثر كل صوت بما يتقدمه أو يأتي بعده من أصوات»[1]، وبعبارة أخرى هو «حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا محددا، ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق، ونحو ذلك»[2].

2-**سياق الحال:** ويمثله «العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم، والمشتركين في الكلام أيضا»[3]، وهذا بالنسبة لمن يقسم السياق إلى قسمين فقط، أما بالنسبة للذين يقسمونه إلى أربعة أقسام، فسياق الحال عندهم يعني «الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة»[4] أو بعبارة أخرى «العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام»[5]؛ أي المعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها.

3-**السياق الثقافي:** وهو ينفرد بدور مستقل عن سياق الحال أو الموقف الذي يقصد به المقام من خلال المعطيات الاجتماعية، لكنَّ هذا لا ينفي دخوله ضمن معطيات المقام عموما.

ويقتضي السياق الثقافي تحديد المحيط الثقافي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، أي استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد، مثل: كلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات. وكلمة "صرف" لها معنى عند دارسي اللغة مرتبط بعلمي النحو والصرف، ولها معنى ثان عند دارسي الهندسة متصل بالريِّ والصرف، ولها معنى ثالث عند دارسي المالية والتجارة متجه إلى تحويل العملة النقدية[6].

4-**السياق العاطفي:** وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية؛ إذ تشحن الكلمات عند الاستعمال عادة بمضمونات عاطفية؛ أي ما تفيض به

---

(1)-المصدر السابق، ص:161.

(2)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:295.

(3)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:161.

(4)-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:71.

(5)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:299-300.

(6)-المصدر نفسه، ص:298-299. وانظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:71.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نفس المتكلم من الانفعالات أمام كلمات معينة. والسياق العاطفي نفسه من يحدد درجة الانفعال قوة وضعفا؛ إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية، حيث الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال مثلا، كما تكون طريقة الأداء الصوتي كافية لشحن الكلمات بالكثير من المعاني الانفعالية[1]، فكلمات: "حرية"، "عدل"، "حب"، "كره"، "بغض"، تكون مشحونة عادة بمضمونات عاطفية، فترد على لسان المتكلم محمَّلة بما تفيض به نفسه من انفعالات، فيرى الحرية حلوة تارة ومُرَّة تارة أخرى، ويرى الحب رائقا تارة وعلقما تارة أخرى، وهذا مختلف على دلالاتها الموضوعية المعروفة.

ولقد اتجه بعض الدارسين إلى الاقتصار على السياق اللغوي وحده، واصطلحوا عليه مصطلح "الرصف" ومصطلح "التساوق"، والاهتمام في هذا الاتجاه واقع حول دراسة طرق الرَّصف أو النظم، وعرَّفوا الرَّصف بأنه: الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. وهذا استنادا إلى أن معنى الكلمة يتحدد من خلال ورودها مع مجموعة من الكلمات.

وأهم ما يميز هذا الاتجاه في نظرية السياق أنه:

1-لا يهتم من بين أقسام السياق إلا بالسياق اللغوي أو السياق اللفظي؛ أي ببيان مجموعة الكلمات التي تنظم معها الكلمة موضوع الدراسة.

2-يهتم ببيان الخصائص النحوية والصرفية، ويستخدمها في تحديد السياقات التي تقع فيها الكلمة.

3-لا يعتبر الجملة كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقا لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة، وتقبَّلها أبناء اللغة وفسروها تفسيرا ملائما[2].

وخلاصة ما سبق هو أنه في نظرية السياق لا يكون المعنى الحقيقي للكلمات إلا من خلال السياق الواردة فيه تلك الكلمات (السياق المقالي والسياق المقامي)، وهذا يؤكده مايلي:

1-أن دلالة الكلمة هي جزء من تركيبها الصوتي وصيغها الصرفية ووظيفتها النحوية.

2-أن المعنى المعجمي للكلمة عام ومتعدد ومحتمل.

---

(1)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، ص:297.

(2)-المصدر نفسه، ص:300. وانظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:74-77.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-المقام أو السياق الاجتماعي بملابساته هو الذي يعطي المعنى النهائي للكلمة[1].

**المطلب الثاني: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بنظرية السياق**

قامت مدرسة "فيرث" بتقديم نظرية متكاملة حول السياق، هذه النظرية استطاعت أن تمكّن لنفسها بين النظريات اللغوية الأخرى، وأن تلقي بظلالها على الدراسات اللغوية الحديثة الغربية منها، والعربية على حد سواء.

لقد وجدت الدراسات اللغوية العربية الحديثة التي ساهمت في البحث اللغوي العربي الحديث في مدرسة "فيرث" ونظرية السياق رافدا واسعا نهلت منه وهي تسعى للنهوض بالدرس اللغوي واللغة العربية على أسس علمية حديثة، وهذا جلي وواضح من خلال الدراسات اللغوية التي تبحث في علم اللغة والدلالة اللغوية، ومن خلال الدراسات الصوتية أو اللسانية وفق منظور حديث.

ومن خلال النماذج المقترحة في هذا البحث لتلك الدراسات تبين ابتداء الاهتمام بنظرية السياق كما أصّل لها أصحابها وأتباعها، واتضح مع هذا الاهتمام التأثير المنهجي لهذه النظرية على البحث اللغوي الحديث، لكن ليس ذاك التأثير الذي يلغي الذات العلمية وأصالة الدراسات اللغوية العربية التي تمتد جذورها فيما يخص نظرية السياق إلى تلك الإشارات التي قدمها الدارسون القدامى حول فكرة السياق، وهذه الأصالة العلمية هي التي عملت على المحافظة على تلك الإشارات القديمة وبعثها من جديد والتنويه بها.

أما بالنسبة للدراسات اللغوية فنجد حلمي خليل في كتابه "الكلمة دراسة لغوية معجمية" وفي الفصل الخامس المتعلق بالدلالة والسياق، ينطلق من مقولة علماء البلاغة قديما "إن لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام" وأنهم وقعوا على عبارتين تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية وحدها، وأنهم قد تمثلوا تماما فكرة المقام وحكموها في كثيرا من أحكامهم النقدية والبلاغية، ليقرر أن علماء اللغة المحدثين كانوا أكثر التفاتا للتفاصيل التي تحيط بالمقام والسياق ودورهما في تحديد الدلالة بطريقة منهجية[2].

---

[1]-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص:163.

[2]-المصدر نفسه، ص: 155.

ومع أنه أشار إلى أن فكرة السياق كانت مطروحة في الفكر الإنساني منذ أفلاطون وأرسطو، وأن حديث عبد القاهر الجرجاني عن النظم والسياق ودورهما في تحديد قيمة الكلمة حديث قديم شائع بين الباحثين، إلا أن اهتمامه بنظرية السياق عند "فيرث" كان أكثر؛ حيث تناولها بالشرح ابتداء من الحديث عن الأركان الثلاثة الأساسية لمنهج فيرث العام في دراسته للغة، ليحدد مفهوم المعنى عنده، وانتهاء إلى الحديث عن قسمي السياق اللغوي وسياق الحال، ويختم معالجته هذه بتقرير نهائي والمتمثل في أن المعنى الحقيقي للكلمات لا يكون إلا من خلال السياق[1].

ونجد أحمد مختار عمر -ومن خلال كتابه "علم الدلالة"- يعقد فصلا في نظرية السياق؛ حيث نسبها إلى زعيم المنهج السياقي "فيرث" ذاكرا أقطاب هذا الاتجاه في دراسة اللغة ثم تناول معنى الكلمة ووجهة نظر أصحاب هذه النظرية ليتجه بعد ذلك إلى الحديث عن أقسام السياق والمتمثلة في: السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف، والسياق الثقافي شارحا كل قسم ممثلا له بأمثلة توضيحية[2]. ليخلص بعد ذلك إلى تسجيل اعتراضات على نظرية السياق عند زعيمها فيرث، والمتمثلة في أنه لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، وأنه لم يكن محددا في استخدامه لمصطلح السياق مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف غامضا غير واضح كما أنه بالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق، وأن هذا المنهج لا يفيد إلا الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة واستخداماتها العلمية في التعبيرات المختلفة[3].

ويختم فصله هذا بحديثه عن اتجاه في نظرية السياق يركز على السياق اللغوي وتوافق الوقوع أو ما اصطلح عليه بـــ الرَّصف مبينا أهم ما ميز هذا الاتجاه[4].

ويقف محمود سليمان ياقوت عند السياق في شقه الثاني، أي سياق الحال، وذلك في دراسته المعنونة بـــ: "فقه اللغة وعلم اللغة" في القسم الثالث منها والمتعلق بالتحليل اللغوي عند عنصر المستوى الدلالي، حيث تحدث عن أصل مصطلح السياق، وعن الذي أضافه مالينوفيسكي

---

(1)-حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، ص:157-163

(2)-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 68-73.

(3)-المصدر نفسه، ص:73-74.

(4)-المصدر نفسه،ص: 74-77.

إلى هذا المصطلح الذي كان متداولا بين اللغويين، ليشير إلى تطوره باستعماله من طرف فيرث في دراسته اللغوية [1] والذي أفاد من سالفه إفادة كبيرة؛ حيث أن الخطوط العامة لنظرية السياق أو سياق الحال كان قد قدمها مالينوفيسكي وأفاد منها فيرث[2].

وما يلاحظ في هذه الدراسة أن المؤلف اهتم بسياق الحال دون الالتفات إلى السياق اللغوي؛ حيث ركز على بيان العناصر الأساسية التي تتصل بالموقف الكلامي ليخلص في النهاية إلى أن من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي[3].

ويبدو محمود سليمان ياقوت أمام جهود القدامى الذين كانت لهم دراسات لغوية تقترب من نظرية سياق الحال على حد تعبيره كان أكثر تأثرا من تأثره بالدراسات الحديثة؛ حيث اتجه إلى بيان اهتمامات القدامى في هذا المجال ابتداء بسيبويه الذي وقف معه مطولا، ثم الجاحظ الذي نقل عنه ما يمكن أن يكون تأصيلا لنظرته إلى سياق الحال أو كما عبر عنه بموافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، ثم يقف مع ابن جني على أساس أنه أشار إلى سياق الحال في غير موضع من كتبه.

ثم إنه وقف وقفة أخرى مع العلوم القرآنية مشيرا إلى علم أسباب الترول وماله من دور في تحديد المعنى من خلال ملابسات نزول النص القرآني، لينهي هذا بإشارة خفيفة إلى حرص القدامى على بيان الظروف التي قيل فيها الشعر مما يفيد في فهم كثير من معاني أبيات القصيدة، وهي إشارة منهم إلى سياق الحال الذي قيلت فيه القصيدة الشعرية، وهي نفس الإشارة التي أشار إليها المحدثون[4].

لقد تكلمت نادية رمضان النجار ومن خلال كتابها "اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين" ومن خلال معالجتها لموضوع الدرس الدلالي عند القدماء، عن أهمية الدلالة وعناصرها المتعددة والظواهر الدلالية، لتخلص إلى أهمية السياق اللغوي وأثره في الدلالة مستعرضة في ذلك أعمال

---

(1)-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص:235.

(2)-المصدر نفسه، ص:236.

(3)-محمود سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص:237.

(4)-المصدر نفسه، ص:237-244.

الجاحظ وابن جني.

ثم تكلمت عن وسائل الترابط السياقي والمتمثلة في: التماسك السياقي، التوافق السياقي والتأثير السياقي. وعن معايير السياق اللغوي والمحصورة في اختيار اللفظ المناسب للمعنى، ترتيب الألفاظ وتتابعها، نظم الألفاظ، اختيار الصيغ الصرفية المناسبة، وتفاعل اللفظ مع غيره من الألفاظ.

وعن السياق غير اللغوي أبرزت الباحثة التفات القدامى من اللغويين إلى هذا النوع من السياق (سيبويه وابن جني) واعتناء الأصوليين بقرائن السياق المقامي وما يتصل بالكلام من الظروف المحيطة من البيئة، مستشهدة لذلك بما قرره الإمام الغزالي في المستصفى، وانتهت إلى إبراز عناصر هذا السياق والمتمثلة في: 1-ما يتصل بالمتكلم نحو الإشارة والإيماءة 2-ما يتصل بالسامع والحاضرين 3-طبيعة النص؛ إذ نوع النص يؤثر في دلالة اللفظ 4-الظروف والملابسات المحيطة بالنص الشرعي (أسباب الترول، أسباب ورود الحديث) 5-البيئة 6- عادات العرب 7-المستوى الثقافي والاجتماعي[1].

وتخلص الباحثة في نهاية هذه المعالجة إلى أن أهمية السياق اللغوي وغير اللغوي، تكمن في أنهما من أهم القرائن بحق لا سيما في فهم دلالة النصوص الشرعية، فهو يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم[2].

ومن خلال معالجتها لموضوع الدرس الدلالي عند المحدثين، تكلمت أولا عن مكانة الدلالة عند المحدثين من اللغويين، وعن الاتجاهات الكبرى للدرس الدلالي عندهم، فتقف عند الاتجاه الخامس وهو الاتجاه السياقي، لتقدم تعريفا للمحدثين للسياق وأنه: وضع كلمة داخل الجملة، أو الحدث الذي تعبر عنه الكلمة داخل الجملة مرتبطة بما قبلها أو ما بعدها، كما أنه في حالة الكلام يتمثل في العلاقة القائمة بين المتكلم والحالة أو المقام الذي يتكلم فيه وتكوينه[3].

---

(1)-نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، مراجعة: عبده الراجحي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت)، ص:201-206.

(2)-المصدر نفسه، ص:216.

(3)-المصدر نفسه، ص:233.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لكنها لم تفصل في التعريف مع أنه يحتاج إلى البيان، فكما هو ملاحظ يتكون في الحقيقة من ثلاثة تعريفات، عبَّرت فيها عن السياق، بـــ:"وضع" و"حدث" و"علاقة".

وتتجه الباحثة إلى نسبة نظرية السياق إلى فيرث دون غض الطرف عمَّن سبقه من العلماء خاصة مالينوفسكي الذي كان له الأثر الكبير من خلال وضعه أسس السياق، والتي تنبه إليها فيرث، وأفاد من سالفه لتتبلور الفكرة لديه حول السياق كنظرية لها أصولها، لتنهي الباحثة الموضوع بالحديث عن هدف النظرية وأقسام السياق الأربعة[1].

ومن خلال الموازنة بين معالجة الدرس الدلالي عند القدامى ومعالجة الدرس الدلالي عند المحدثين فيما يخص دلالة السياق نجد أن النجار يبدو عليها التأثر الكبير بالدراسات القديمة؛ إذ أنها استنفذت جهدا كبيرا في بيان الدرس الدلالي عند القدامى، وتتبعت موضوع السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة، وأفادت منها في بيان ما قدمته فيما يخص وسائل التماسك السياقي ومعايير السياق اللغوي وعناصر السياق غير اللغوي، وهي في كل ذلك تبسط الشواهد من القرآن الكريم، والمنظوم والمنثور من كلام العرب، ما يؤكد أصالة دراستها، وتأثرها المحدود بمدرسة فيرث ونظرية السياق.

هذا من جهة الدراسات اللغوية، فأما من جهة الدراسات الصوتية أو الألسنية أو اللسانيات، فيذهب أحمد محمد قدور إلى أن أصحاب نظرية السياق درسوا معنى الكلمة متجاوزين أصل الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول؛ إذ اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق والطريقة التي تستعمل بها، ولذلك عرَّفوا المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمة في اللغة. ناقدا مبالغة بعضهم ممن رأى أن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم؛ إذ الكلمة المفردة يتواضع عليها المتكلمون والسامعون ثم تدور في تضاعيف المعجم، ولا بد من أن يكون لها معنى أو عدة معان مركزية ثابتة، وإن اعترى بعض الكلمات الغموض في معانيها[2].

وانطلاقا من أن دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظرية السياق يطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، أشار أحمد محمد قدور إلى تقسيمات السياق وأنها أربعة:

---

(1)-المصدر السابق، ص:233-237.

(2)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:294-295.

السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف والسياق الثقافي، وبعد تعريف كل قسم مع التمثيل له، انتهى إلى تسجيل الاتجاه الآخر في نظرية السياق والذي يهتم فقط بالسياق اللغوي ما اصطلح عليه بالرَّصف أو التساوق، وإلى التأكيد على أن دراسة معنى الكلمة من خلال السياق اللغوي يوقف على المعنى الدقيق، كما يعطي المعايير التي تميز الترادف والاشتراك وغير ذلك من العلاقات الدلالية[1].

ونجد عبد القادر عبد الجليل ومن خلال كتابه "علم اللسانيات الحديث" ومن خلال حديثه عن حقول الدلالة اللسانية يجعل من الدلالة السياقية شكلا من أشكالها السبعة وهي: الدلالة الصوتية، الدلالة الصرفية، الدلالة النحوية، الدلالة المعجمية، الدلالة الاجتماعية، الدلالة النفسية والدلالة السياقية.

وفي الدلالة السياقية –وبعد أن عرَّف السياق من حيث اللغة والاصطلاح- أشار إلى رواد نظرية السياق كـــ:فيرث، وهاليدي، وليونز الذين أكدوا بُعد نظريتهم التي ترى أو الوحدة اللغوية (الكلمة) لا يمكن لها أن تظهر دلاليا بوضوح رؤية إلا من خلال الوحدات المجاورة لها، وفي هذا لا بد من التأكيد على جوانب التحليل السياقي، ليقسم السياق إلى ثلاثة أقسام: السياق اللغوي، السياق العاطفي، والسياق الثقافي[2].

والسياق اللغوي عنده هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبح في منطاق التركيب، وهذا يتطلب الرجوع إلى نظم اللغة (الصوتية، الصرفية، التركيبية، المعجمية، والدلالية).

ومن خلال هذا فإنه يذهب إلى تقسيم السياق اللغوي إلى:

1-السياق الصوتي الذي يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه.

2-السياق الصرفي والمتعلق بالبناء الصرفي.

3-السياق النحوي والمتعلق بشبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص.

---

(1)-المصدر السابق، ص:300-302.

(2)-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:540-541.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-السياق المعجمي والمتعلق بمجموع العلاقات الصوتية التي تتظافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين.

5-السياق الأسلوبي ويظهر في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللغة العادية[1].

وأما السياق العاطفي فهو متعلق بالانفعال العاطفي، ويتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال[2].

وأما السياق الثقافي فهو الذي يحدد درجة المحيط الذي تعيش بداخله الوحدات المستعملة، وغالبا ما يكون المحيط اجتماعيا[3].

وعبد القادر عبد الجليل وهو يستعرض الدلالة السياقية يُمثل لكل نوع من أنواع السياق وما تضمنه من معاني أو أقسام بأمثلة من الآيات القرآنية في الغالب، مع بعض الأبيات الشعرية.

ففي السياق اللغوي يقول: «تقرأ قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:1] حيث يدعونا التركيب إلى ضرورة الوقوف على درجات زمنية للفعل الماضي، وتنوعات النهي فمهمة السياق اللغوي توضح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ، فأمر الله في النحل:1 غير أمر الله في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:48] »[4].

وفي السياق النحوي وفي معرض الحديث عن القرائن النحوية كالإعراب يقول: «...وقد أضافوا قرينة المرتبة، ضرب موسى عيسى- كالتقديم والتأخير- شرط وضوح الغاية وعدم التباسها قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:124] »[5].

ويبدو عبد القادر عبد الجليل متحررا من قيود التأثير المنهجي لنظرية السياق من خلال ما قدمه من دراسة حول الدلالة السياقية عموما.

---

(1)-عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص:542-548.

(2)-المصدر نفسه، ص:549-550.

(3)-المصدر نفسه، ص:551.

(4)-المصدر نفسه، ص:542.

(5)-المصدر نفسه، ص:546.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بالسياق القرآني

لقد كان اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بالسياق واضحا وجليا من خلال الأعمال التي قدمت في مجال الدرس اللغوي العربي الحديث.

وإذا كان التأثر بالدراسات اللغوية الغربية الحديثة قد ارتسمت معالمه على معظم الدراسات اللغوية العربية الحديثة، فإن الاستقلالية مطلب تجلى هو أيضا في الرجوع إلى التراث كمحاولة لإحياء ما قدمه الأقدمون من دراسات في الموضوع، وتقديمه في ثوب جديد بما يتوافق والمستحدث من الدرس اللغوي الحديث.

إلا أن فريقا من الدارسين اللغويين العرب المحدثين كان أعمق في الرجوع إلى التراث، بل تجاوز ما أنتجته العقول البشرية من نصوص لغوية لينتهي إلى الوقوف أمام النص اللغوي الخالد، والمتمثل في النص القرآني يستنطق منه درسا لغويا أصيلا وحديثا، مستقلا بذلك عن أطروحات المدارس اللغوية الغربية الحديثة، بل ويتجاوزها وإن لم يتنكر لمجهوداتها.

ودلالة السياق في النص القرآني لقيت الاهتمام من هذا الفريق بالبحث، ولعلّ دراسة تمام حسان خير معبر عن هذا الاهتمام، وهذا العمق في الطرح، فيما يخص الدرس اللغوي للنص القرآني عموما، والسياق القرآني ودلالته خصوصا. لذلك كانت هذه الدراسة موضوع هذا المطلب، فهي كافية لمعالجته وبيان موضوعه.

لقد قدَّم تمام حسان دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني عنوانها: "البيان في روائع القرآن" في جزئين وهي عبارة عن تأملاته حول ما «اشتمل عليه النص القرآني من مباني اللغة و معاني الأدب »[1].

والذي يهم من هذه الدراسة فيما يخص السياق القرآني هو دراسته في الجزء الأول لـــ:

- التركيب القرآني من حيث الإعراب، البنية وقرائن: الرتبة، التضام، الربط والسياق.
- القيم الصوتية في القرآن الكريم.
- الرخصة في التركيب.

(1)-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، القاهرة، عالم الكتب، ط:2، 1420هـ-2000م، 7/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تنوع معاني مشتقات المادة الواحدة.
- الفروق في معاني المفردات القرآنية.
- النمط التركيبي في القرآن الكريم.
- العلاقات الملحوظة في النص القرآني.
- صفات القرآن في القرآن.

أما فيما يخص دراسته لدلالة السياق، فقد تناولها تحديدا في الفصل السادس المتعلق بـــ: السياق في التركيب القرآني. وفي الفصل الثالث عشر المتعلق بـــ: العلاقات الملحوظة في النص القرآني[1].

مهّد تمام حسان للفصل السادس بالحديث عن أسباب تعدد المعنى في النمط التركيبي والتي حصرها في:

1-تعدد معنى الأداة ذات الصدارة في الجملة.
2-تعدد معنى الصيغة.
3-تعدد احتمالات العلاقة النحوية.
4-تعدد احتمالات المعنى الوظيفي للكلمة المفردة.
5-تعدد احتمالات الذكر والحذف.
6-تعدد احتمالات تمام الجملة أو افتقارها إلى ما بعدها.
7-تعدد احتمالات المعنى المعجمي للكلمة المفردة.
8-إحتمالات الدلالة اللفظية أو الفوقية[2].

فأمام هذه الأسباب يصير النمط التركيبي بحاجة إلى قرينة يتبين بها المعنى المراد، وهنا يقرر أن تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرائن النحوية، وأن النمط التركيبي أمام ذلك لا بد له

[1]-كذلك أشار إلى السياق في الفصل الخامس المتعلق بقرينة الربط في التركيب القرآني؛ حيث لاحظ أنه في آيات من القرآن «لا دليل على مرجع بعض الضمائر فيها إلا قرينة السياق والمعنى الدلالي للجملة» إذ «أن الضمير قد يكون له مرجع صريح وقد يكون له مرجع متصل من الفعل وقد تدل عليه قرينة السياق العام للكلام...» انظر: 150/1.
كذلك أشار إليه في الفصل الرابع عشر المتعلق بالصحة والجمال في النص القرآني، وأن «دلالة السياق: هي قرينة تركيبة الطابع تفهم في نطاق القرائن السابقة»، والتي هي قرائن: التضام، الرتبة، الربط، البنية والأداة. انظر: 424/1.
[2]-المصدر نفسه، 163/1-164.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من قرينة من خارج الجملة هي المعروفة بـــ"قرينة السياق"، وهي كبرى القرائن النحوية، لأنها قد تعتمد على شيء من القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من الفعل أو من المقام المحيط بالجملة[1].

وهنا يتجه تمام حسان إلى تعداد الركائز أو الأسس التي تقوم عليها قرينة السياق والمتمثلة في: اللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وفي الدلالات بأنواعها من عرفية وعقلية وطبيعية، وفي المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث والعناصر الجغرافية والتاريخية.

وهو في تعداد هذه الركائز أو الأسس يمثل لكل واحدة منها بالآيات القرآنية العديدة؛ إذ الدراسة متصلة بالنص القرآني أساسا من حيث البيان.

فمن اعتماد اللغة من حيث المبنى يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم:51] «فالدليل على أن "إن" مخففة من الثقيلة وأن معنى السياق هو التأكيد وليس الشرط كون الفعل "يكاد" مرفوعا غير مجزوم، ثم وجود اللام في خبر "إن" المخففة وعدم وجود ما يصلح للشرط»[2].

ومن اعتماد اللغة من حيث العلاقات النحوية يقول عند قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف:58] بعد ذكر احتمالات تعيين الخبر في الجملة بين "الغفور" و"ذو الرحمة" و"لو يؤاخذهم" «وتأتي القرينة السياقية من الإضراب عن تعجيل العذاب إلى ضرب موعد مقبل لهم، والدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[الكهف: 58] فدل ذلك على أن الخبر قوله تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف:58] وقد جاءت القرينة السياقية الدالة على ذلك من علاقة الإضراب المعبَّر عنها بحرف الإضراب "بل"»[3].

ومن اعتماد اللغة من حيث المعجم تقديره لمحذوف في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:77] «أي: أتقولون للحق لمّا جاءكم هذا سحر؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-المصدر السابق، 164/1.

[2]-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 164/1-165.

[3]-المصدر نفسه، 165/1.

أسحر هذا؟ وتأتي ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول ولا تصلح جملة "أسحر هذا" أن تكون هي المقول لأنها استفهام، والاستفهام يدل على التردد وعدم الجزم، وهم في كفرهم أبعد ما يكونون عن التردد وعدم الجزم، ومن هنا يقدر المحذوف خبرا مثبتا، بحيث ينسجم مع اتهامهم للحق ودعواهم أنه سحر. وأساس كل ذلك أن المعنى المعجمي للفظ القول يقتضي مقولا مقدرا إن لم يكن هذا القول مذكورا»[1].

ومن اعتماد الدلالة العقلية اقتضاء السياق إلى إنشاء تقابل ثنائي لا رباعي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: 24] فيقول تمام:

**فعلى الرغم من أن في الآية أربعة ألفاظ عطف لاحقها على سابقها نرى الفارق العقلي بين الاثنين (الممثلة في الفريقين ويستويان) وبين الأربعة (الممثلة في الألفاظ المتعاطفة)، يحكم بأن العطف من قبيل عطف الصفات لا عطف الأفراد، ويجعل المعنى: مثل الفريقين كالأعمى الأصم والبصير السميع؛ أي أن ثمة شخصين أحدهما أعمى أصم والثاني بصير سميع، وهما لا يستويان مثلا، وبذلك نحكم بزيادة الواوين اللتين قبل الأصم والسميع، أضف إلى ذلك الطباق الذي بين السلب الذي يتمثل في الأعمى الأصم، وبين الإيجاب ممثلا في السميع البصير، ولا شك أن السلب والإيجاب من الأمور العقلية أيضا[2].**

ومن اعتماد الظروف الحسية يقول في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة:214] «...يحتمل التركيب أحد معنيين: "متى ننصر الله" و"متى ينصرنا الله" ولكن الذين آمنوا ينصرون الله بحكم إيمانهم ويلقون العنت والعذاب لهذا السبب، ويدركون ذلك إدراكا حسيا. ومن ثم يكون المعنى: متى ينصرنا الله، ويؤيد ذلك ما تلا ذلك من وعد الله لهم بالنصر بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾» [3].

ومن اعتماد الظروف النفسية كالحب والكراهية والغضب والرضا والطبع والقناعة فيقول في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي

---

(1)-المصدر السابق، 166/1.

(2)-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 169/1.

(3)-المصدر نفسه، 171/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء:127]: «فالتركيب صالح لمعنى: (وترغبون في أن تنكحوهن) وكذلك: (وترغبون عن أن تنكحوهن) وقد حذف حرف الجر قصدا ليعم التركيب حالتي الرغبة فيهن والرغبة عنهن؛ لأن اليتيمة ذات المال إما أن تكون جميلة فيرغب وليها في أن ينكحها استئثارا بمالها وجمالها، وإما أن تكون قبيحة فيعضلها رغبة عنها وطمعا في مالها. وهكذا تكون الظروف النفسية متكأ لقرينة السياق دالة على أن حذف الجر مقصود ليشمل التركيب الحالتين كليهما، حالة الرغبة فيهن وحالة العزوف عنهن مع استبقائهن من أجل مالهن في الحالتين»[1].

وعن المحيط الاجتماعي وعلاقته بالسياق يقرر فيما عرضه من الآيات القرآنية التي ترتبط معانيها بالمحيط الاجتماعي، أن المخاطبين بها أيام النزول كان معنى السياق واضحا لديهم كل الوضوح، على أن المخاطبين بعدهم يحتاجون إلى معرفة أسباب النزول؛ أي أن الأولين عرفوا المعنى من حاضرهم وأن الآخرين يعرفونه من التراث[2]. والآيات القرآنية المعروضة هي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:34] وقوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ [التوبة:56] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة:75] وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:18]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ [الأحقاف:17].

وعن العادات والتقاليد وتعلقها بالسياق يقرر أن للعرب عاداتهم وتقاليدهم والتي يفتقر فهم النصوص القرآنية إلى معرفتها؛ أي أن هذه المعرفة هي المتكأ الذي لا بد منه لقرينة السياق في مثل قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:103] إذ كان ذلك من عاداتهم في عباداتهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور:33].

كذلك المأثورات والتاريخ، فيفتقر النص إلى معرفة ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ

---

[1]-المصدر السابق، 171/1.

[2]-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 171/1-172.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فرعون والذين من قبلهم﴾ [آل عمران:11] وقوله: ﴿وأنه أهلك عادا الأولى. وثمود فما أبقى. وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى. والمؤتفكة أهوى. فغشاها ما غشى﴾ [النجم:50-54] وغيرها من الآيات[1].

بعد هذا العرض لهذه الأمثلة يعود تمام حسان إلى تقرير هذه الركائز وهذه الأسس والتي تجعل من «قرينة السياق كبرى القرائن بحق؛ لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتضام...الخ، هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النص والاعتداد بروح النص، وقرينة السياق هي التي يحكم بواسطتها على ما إذا كان المعنى المقصود هو الأصلي أو المجازي وهي التي تقضي بأن في الكلام كناية أو تورية أو جناس...الخ، وهي التي تدل عند غياب القرينة اللفظية على أن المقصود هذا المعنى دون ذلك إذ كلاهما محتملا»[2].

أما الفصل الثالث عشر والمتعلق بالعلاقات الملحوظة في النص القرآني، فقد لاحظ تمام حسان أن «اللغة نظام لفظي يربط الألفاظ بالمعاني بواسطة نوعين من القرائن، أحدهما يسمى القرائن اللفظية والأخرى هو القرائن المعنوية؛ أي أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يستدل عليها بقرائن لفظية فنسميها علاقات ملفوظة، وقد يستدل عليها بقرائن معنوية فنعرفها باسم العلاقات الملحوظة، أي لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية»[3].

ويعتمد التحليل النحوي على عدد من القرائن اللفظية منها[4]:

1-بنية اللفظ، والتي تعرف من أقسام الكلم ودراسة الصيغ الصرفية ووظائفها، والتي تحتها اشتراط صيغة صرفية معينة للباب النحوي المعين كالاشتقاق للحال والجمود للتمييز.

2-التضام: ويقع تحته الافتقار والاستغناء والاختصاص وعدمه والمناسبة المعجمية والمفارقة المعجمية.

3-الرتبة: وهي إما محفوظة أو غير محفوظة تحتمل التقديم والتأخير.

---

(1)-المصدر السابق، 173/1.

(2)-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 173/1-174.

(3)-المصدر نفسه، 1 /395.

(4)-المصدر نفسه، 395/1-396، 424/1.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-المطابقة: وهي اشتراك اللفظين في الأفراد والتثنية أو الجمع، وفي التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وفي التعريف أو التنكير وفي التذكير أو التأنيث وفي حكم الإعراب.

5-الربط وتحته المرجعية (إعادة الذكر وعود الضمير والإشارة وأل الموصولة والصفة) وأيضا المطابقة (في الشخص والنوع والعدد والتعيين والإعراب).

6-الأداة: وهي الأدوات الداخلة على المفردات كحروف المعاني الداخلة على الجمل لتدل على نوع أسلوب الجملة كالشرط والاستفهام...

7-نغمة الكلام، وذلك في الكلام المنطوق.

8-دلالة السياق وهي قرينة تركيبية الطابع تفهم في نطاق القرائن السابقة بما فيه من قرائن خارجية وحسية وعقلية...

وفي هذا الصدد يلاحظ على النحاة أنه لم تتجه عنايتهم «إلى علاقة الجملة بالجملة إلا في مواضع بعينها، كعلاقة الجملة الفرعية -سواء أكان لها محل من الإعراب أم لم يكن- بالجملة الكبرى، وكالإضراب والاستدراك والاستثناء والأجوبة ونحوها مما يعتمد على الأدوات الداخلة على الجملة، وتركوا ماعدا ذلك من علاقات الجملة بالجملة لعلماء البلاغة ليدرسوه تحت عنوان "الفصل والوصل"، ومعنى الفصل عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية في صورة استئناف، ومعنى الوصل وجود الأداة الرابطة بين الجملتين»[1].

وهذه الأداة اقتصر البلاغيون فيها على واو العطف، كما اقتصروا على مطلق الجمع من العلاقات بين الجمل. ومن هنا يوجه تمام حسان انتقاده لهذا التوجه من البلاغيين كون الجمل في اللغة العربية تترابط بغير الواو؛ إذ لكل معنى أدواته الدالة عليه، وكون العطف ليس مقصورا على مطلق الجمع؛ إذ يكون أحيانا للترتيب والتعقيب أو للترتيب والتراخي، فالاقتصار على الواو ومطلق الجمع لا مبرر له، كما أن بعض العلاقات مما يعد من العلاقات الملحوظة غير الملفوظة[2].

ومما ينتقد عليهم اعتمادهم في دراساتهم لعلاقة الجملة بالجملة على العلاقات النحوية فقط، وإن توسعوا في ذلك ما «يدخل الضيم على حرية الفهم؛ لأن الفهم نشاط عقلي يرتبط

[1]-المصدر السابق، 397/1.

[2]-تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 399/1.

بأنواع مختلفة من القرائن منها اللفظي والمعنوي والحسي والعرفي والمادي والخارجي، وليس كل نوع من هذه القرائن صالحا لأن يعبر عنه بالحروف والأدوات الصالحة للحذف ثم التعبير عن هذا الحذف بعبارة (كمال الاتصال)» [1].

غير أن الجديد الذي أضافه البلاغيون ولاحظه تمام حسان ما أخذوه عن النحاة من مفهومي "الحال" و"المقام"، وأنه ينبغي عندهم عند الكلام من مراعاة مقتضى الحال وأن يعلم أن لكل كلمة مع صاحبتها مقام.

غير أن المقام عندهم حال بينه وبين أن يكون متحولا أن النحاة صنفوه وجردوا له أنواعا محددة الطابع والعدد كمقام المدح ومقام الذم ومقام التهنئة أو التعزية... وأن المقام بهذا جردوه من طاقته الحركية. وهنا يسجل تمام حسان أن الاعتماد في تحليل المعنى على سياق الموقف هو ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة، وأن النظرة إلى المعنى صارت تتجه إلى عدد من المساوقات مثل: المتكلم، القول، السامع أو السامعين والظروف الاجتماعية التي تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية، وتشمل الزمان والمكان والمأثورات والأشياء والعرض والنتيجة وغير ذلك... وهذا كله حيث يكون لكل واحد من مساوقات الموقف هذه أثر في فهم المعنى[2].

ويضرب لهذا مثالا من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:65-68].

فاستخراج المعنى لهذا النص القرآني في ضوء النظرة إلى الموقف يتلخص في:

**1-المتكلم: وهو الله سبحانه وتعالى يدعو أهل الكتاب إلى الكف عن الحاجة فيما لا يعلمون من أمر إبراهيم عليه السلام، وذلك بنسبته إلى ديانتهم وادعاء أنهم أولى به من غيرهم.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-المصدر السابق، 399/1.
وكمال الاتصال: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام بأن تكون الثانية توكيدا للأولى مثل: قاتل دافع عن شرفك. أو بيانا لها مثل: الصدق منج فيه الخلاص. أو بدلا منها مثل: زيد جواد يعطي الكثير. المصدر نفسه، 398/1.
[2]-المصدر نفسه، 400/1.

2–القول: ويشتمل على الإنكار عليهم أن يحاجوا في أمر يجهلون أبعاده التاريخية...

3–السامعون أو المخاطبون: وهم طائفة من أهل الكتاب اعتمدوا على سلسلة النسب التي تربط بني إسرائيل بإبراهيم عليه السلام، فأرادوا أن يجعلوا لإبراهيم مكانا في ديانتهم وأن يتقووا به في محاجة المسلمين في أمر دينهم. ولكن المخاطبين أيضا هم المسلمون الذين أنزل القرآن من أجل هدايتهم وتبصيرهم بأمور دينهم.

4–وسائل الخطاب: وهي دفع الحجة بالحجة من نواحي مختلفة:

أ–منطقيا: لا ينتمي السابق إلى اللاحق وإنما العكس هو الصحيح.

ب–زمنيا: إبراهيم سابق على التوراة والإنجيل فلا يعد يهوديا ولا نصرانيا.

جـ–كان إبراهيم حنيفا مسلما فدينه هو الإسلام...

د–لا يدعي المسلمون أن إبراهيم منسوب إليهم وإنما يقولون إنهم هم ينتسبون إلى إبراهيم الذي سماهم المسلمين من قبل، فهم أولى به من حيث بدأ الإسلام ولم يبدأ اليهودية ولا النصرانية ولم يكن مشركا.

5–تاريخيا: لقد كان إبراهيم هو الذي رفع القواعد من البيت في مكة، أما هيكل إيروشليم فقد أقامه سليمان بن داود عليهما السلام بعد ذلك بزمن طويل في ظل الديانة اليهودية.

6–جغرافيا: ثابت أن إبراهيم حل بمكة وأسكن ذريته فيها ولم يثبت أنه سكن إيروشليم.

7–من حيث المأثورات: ثابت في كتب اليهود والنصارى أن من بنى إبراهيم فرعا في أرض فارن (أي مكة والصحراء الجنوبية) وأن هذه الكتب تشمل على بشارة بظهور نبي من بني إسماعيل.

8–ولعلّ أهم ما يتصل باستخراج العلاقات الملحوظة من مساوقات الموقف هي النتيجة التي تحققت من القول وهي إلزام الحجة...

9–وبإلزام الحجة تتحقق النتيجة ويمكن استنباط العلاقات الملحوظة [1].

---

(1)–تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 1/401-403.

وخلاصة دراسة تمام حسان فيما يخص السياق القرآني يمكن جمعها في هذه النقاط:

1-تقرير أن هناك تعدد للمعنى في النمط التركيبي للجملة وله عدة أسباب تذهب كلها إلى الاحتياج إلى قرينة تبين المعنى المراد.

2-عدم كفاية القرائن النحوية، وأن النمط التركيبي للجملة أمام هذا في حاجة إلى قرينة من خارج الجملة، هذه القرينة هي السياق.

3-قرينة السياق هي كبرة القرائن النحوية لاعتمادها على القرائن النحوية المفردة.

4-قرينة السياق تتجاوز القرائن النحوية إلى دلائل من العقل أو من المقام المحيط بالجملة.

5-الركائز التي تقوم عليها قرينة السياق هي:

أ-اللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها النحوية ومفرداتها المعجمية.

ب-الدلالات بأنواعها من عرفية وعقلية وطبيعية.

جـ-المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث والعناصر الجغرافية والتاريخية.

6-قرينة السياق هي قرينة تركيبية الطابع مشكلة من الركائز المشار إليها آنفا، تفهم في نطاق القرائن اللفظية، أي قرائن: البنية، التضام، الرتبة، المطابقة، الربط، الأداة ونغمة الكلام.

7-قرينة السياق تتجاوز نطاق القرائن اللفظية والعلاقات الملفوظة، إلى نطاق مساوقات الموقف والعلاقات الملحوظة مثل: المتكلم، القول، السامع أو السامعين والظروف الاجتماعية التي تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية، وتشمل الزمان والمكان والمأثورات والأشياء والعرض والنتيجة وغير ذلك. وهذا حيث يكون لكل واحد من هذه المساوقات أثر في فهم المعنى.

8-قرينة السياق وبناء على ما سبق كبرى القرائن بحق، وأنها تمثل في الحقيقة روح النص مقابل حرفيته، وأنها عند الاحتمال هي التي تدل على المعنى المراد ويحكم بها عند التعارض.

9-وكنتيجة لما سبق فإن السياق القرآني كبرى القرائن التي تعين على كشف المعنى المراد من النظم الكريم، يجري فيه ما يجري في السياق المتصل بأي نص لغوي، وأنه يلتفت فيه إلى اللغة من حيث مبانيها المختلفة، وإلى الدلالات بأنواعها، وإلى المقام بما فيه من عناصر متعددة، مع

ملاحظة القرائن اللفظية والعلاقات المقامية مثل: المتكلم (وهوالله ﷻ)، القول (وهو النص القرآني)، السامع (وهو المُخَاطَب) أو السامعين (وهم جماعة المُخَاطَبِين من المؤمنين أو من غيرهم)، والظروف الاجتماعية (و تشمل ملابسات الزمان والمكان والعرف والعادات والعلاقات الاجتماعية والتاريخ... وكل ما من شأنه أن يكون له أثر في فهم نصوص النظم الكريم).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## نتائج الفصل الثاني:

النتائج المستخلصة من هذا الفصل هي:

1-اتصال الدراسات اللغوية العربية القديمة بالقرآن الكريم كان اتصالاً وثيقا؛ حيث كان في البدء اتصال الأصل بالفرع، ثم انتهى إلى اتصال الفرع بالأصل. فالارتباط وثيق والاهتمام أكيد.

2-فكرة النظم قديمة قدم الدراسات اللغوية العربية، لم تتبلور في شكل نظرية إلا على يد عبد القاهر الجرجاني.

3-النظم عند الجرجاني يراعى فيه تعليق الكلم بعضها ببعض، وبناء بعضها على بعض وجعل هذه بسبب من تلك، وهذا التعليق لا يكون إلا بتوخي معاني النحو.

4-من جوانب نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني اعتبار السياق؛ إذ لا تظهر مزايا النظم إلا من خلال السياق.

5-الفرق بين النظم والسياق هو أن النظم يبرز قيمة المعاني النحوية التي تنشأ نتيجة للعلاقات القائمة بين المفردات في السياق وما لهذه المعاني من أبعاد بلاغية، والسياق عامل أساسي في توضيح الدلالة إذا ما كان هناك لبس أو غموض في المعنى المعجمي لكلمة ما.

6-النظم أخص من السياق في قسمه اللغوي، بل أخص من السياق بقسميه اللغوي وغير اللغوي.

7-اهتمام الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق بمختلف مستوياته الدلالية، كذلك اهتمامها بتطبيقاته على النص القرآني.

8-تعد مدرسة "فيرث" الحديثة رائدة المنهج السياقي في دراسة اللغة، باعتبارها نشاط اجتماعي ذو معنى.

9-نظرية السياق كما هي في مدرسة "فيرث" تقوم على ثلاثة أركان أساسية هي:

الأول: الاعتماد في التحليل اللغوي على سياق الحال أو المقام، مع ملاحظة ما يتصل ا المقام أو السياق من ملابسات والتي هي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم.

ب-العوامل والظواهر الاجتماعية والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام.

ج-أثر الكلام في المشتركين فيه، كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك أو غير ذلك.

الثاني: وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس الاجتماعية أو الثقافية التي تحضن اللغة المراد دراستها ما يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى، كما يجب الاقتصار على نوع واحد أو مستوى كلامي واحد للغة المدروسة، كلغة المثقفين أو لغة العوام أو لغة النثر أو لغة الشعر.

الثالث: وجوب تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى للوصول إلى المعنى وفق المستويات التالية: 1-التحليل النحوي 2-التحليل الصرفي 3-التحليل الفونولوجي أو الصوتي. مع ملاحظة أن هذه المستويات مترابطة فيما بينها برباط وثيق، حيث يقود كل مستوى إلى الآخر للوصول في النهاية إلى المعنى اللغوي للكلام.

10-السياق عند هذه المدرسة ينقسم إلى:

أ-السياق الداخلي للحدث اللغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية بين الكلمات داخل تركيب معين.

ب-السياق الخارجي: ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي بما في ذلك تحديد المحيط الثقافي لاستعمال الكلمة وتحديد دلالاتها العاطفية.

11-اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بنظرية السياق كما قررتها مدرسة "فيرث"، وما يسجل في هذا الصدد التأثير المنهجي لهذه المدرسة على البحث اللغوي العربي الحديث، لكن ليس ذلك التأثير الملغي لذات وأصالة الدراسات اللغوية العربية التي تمتد جذورها فيما يخص نظرية السياق إلى تلك الإشارات التي وردت في الدراسات اللغوية العربية القديمة حول فكرة السياق.

12-الدراسات اللغوية العربية الحديثة وكما اهتمت بالسياق في النصوص اللغوية،



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اهتمت أيضا بالسياق في النصوص القرآنية؛ أي بالسياق القرآني، ودراسة تمام حسان خير معبر عن هذا الاهتمام.

13-النتيجة النهائية لكل ما سبق هي أن توظيف السياق في الدراسات اللغوية العربية سواء القديمة منها أم الحديثة أمر واقع مارسه القدامى ونصوا عليه ولو بالإشارة، ومارسه المحدثون ونصوا عليه صراحة، سواء كان السياق متصلا بالنصوص اللغوية أم كان متصلا بالنصوص القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثالث : السياق القرآني في الدراسات الأصولية وعلوم القرآن والتفسير

## المبحث الأول : السياق القرآني في الدراسات الأصولية

## المبحث الثاني : السياق القرآني في علوم القرآن والتفسير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**تمهيد:**

اهتم علماء الأصول بالسياق وبالسياق القرآني كدلالة من الدلالات التي توظف في البحث الأصولي. ويمكن إرجاع ذلك إلى زمن التأسيس لعلم الأصول على يدي الشافعي اعتبارا من أنه قدم أقدم وثيقة في هذا الشأن، بل ولا شك أن الأمر سابق لذلك سَبْقَ العمل والتطبيق لقواعد هذا العلم عن التنظير له.

واستمر هذا الاهتمام مع الزمن من خلال أعمال الأصوليين وصولا إلى الشاطبي الذي عدته هذه الدراسة المقعد لدلالة السياق في الدراسات الأصولية تبعا لما قدمه من قواعد في هذا الشأن.

كذلك اهتم علماء القرآن بالسياق في القرآن، ويظهر ذلك من خلال إهتمامهم به في عديد المباحث القرآنية.

كما تجلى اهتمامهم والمفسرين بالسياق القرآني من خلال ما قدموه من آراء حول دور السياق في التفسير والمرتبة التي يتبوؤها من بين مراتب التفسير الأخرى، وأيضا من خلال توظيفهم لدلالته في تفاسيرهم.

ولأجل بيان ذلك كله، يعالج هذا الفصل المباحث الآتية:

1-السياق القرآني في الدراسات الأصولية. من خلال:

-التأسيس لدلالة السياق في الدراسات الأصولية ةالذي كان على يدي الشافعي.

-اهتمام الأصوليين بدلالة السياق.

-التقعيد لدلالة السياق في الدراسات الأصولية والذي كان على يدي الشاطبي.

2-السياق القرآني في علوم القرآن والتفسير. من خلال:

-علاقته بعلوم القرآن.

-علاقته بالتفسير.

-نماذج من اهتمام المفسرين والدارسين للقرآن بتوظيفه.

## المبحث الأول: السياق في الدراسات الأصولية

### المطلب الأول: الشافعي والتأسيس لدلالة السياق في الدراسات الأصولية

لعل أقدم ما ورد عن علماء الأصول ما يمكن أن يكون أقدم تأصيل للسياق في الدراسات الأصولية، يعود إلى مرحلة التأسيس لعلم أصول الفقه تدوينا؛ وذلك عند الإمام الشافعي، أول من دوّن قواعد هذا العلم من خلال كتابه "الرسالة"، حيث وضع فيها المنطلقات التي لا بد منها لفهم البيان المتصل بخطاب الله عز وجل في القرآن الكريم أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام.

ففي باب البيان من الرسالة جاء نص للشافعي كتأصيل أول للسياق في الدراسات الأصولية يقول فيه:

**فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأن فِطْرَتَهُ أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأوّل هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيُستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره.**

**وتبتدئ الشيء من كلامها يُبِينُ أَوَّلُ لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يُبِينُ آخر لفظها منه عن أوّله.**

**وتَكَلَّمُ بالشيء تُعَرِّفُهُ بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تُعَرِّفُ [بـ]الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها.**

**وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة** (1).

فمن خلال هذا النص يمكن حصر المنطلقات التي أرادها الشافعي في منطلقين كبيرين هما:

**الأول:** أن الله تعالى خاطب العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها واتساع لسانها، وهذا تأسيسا لأولوية مفادها أنه لا قدرة على فهم النصوص الشرعية إلا بالعلم بلسان العرب وبسعته وبكثرة وجوهه، واجتماع معانيه وتفرقها، دفعا للانحراف في الفهم الذي يوقعه الجهل باللسان العربي.

(1)-الشافعي، الرسالة تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص:51-52.

يقول الشافعي: «وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، واجتماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»[1].

**الثاني**: خاص بأنماط الكلام أو وجوه المخاطبات التي تتكلم وتتخاطب العرب بها في لسانها، وجاء خطاب الله تعالى على قدرها؛ لأنه نزل بشأن العرب والخطاب موجه إليهم ابتداء.

وهذه الأنماط أو الوجوه يمكن حصرها في:

1-العام الظاهر يراد به العام الظاهر.

2-العام الظاهر يراد به العام الذي يدخله الخاص.

3-العام الظاهر يراد به الخاص.

4-الظاهر يعلم من سياقه أنه يراد به غير ظاهره.

وهذه الأنماط الأربعة كلها مأخوذة ابتداء من قوله «وأن فطرته يخاطب بالشيء...» وانتهاء إلى قوله: «فكل هذا موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره».

5-السياق اللفظي وهذا في قوله: «وتبتدئ الشيء من كلامها...» إلى قوله: «عن أوله».

6-السياق المقامي، وهذا في قوله: «وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى...» إلى قوله: «لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها».

7-الترادف والاشتراك، وهذا في الفقرة الأخيرة من النص.

لقد قدم الشافعي بعد نصه السابق أمثلة من الآيات القرآنية المتعلقة بالأنماط الأربعة الأولى، دون الأنماط الثلاثة الأخيرة.

ففي نمط العام الظاهر يطلق ويراد به العام الظاهر، أورد الشافعي ثلاثة نصوص قرآنية كمثال لذلك، وهي قوله تعالى:

1- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62].

2- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم:32].

---

[1]-المصدر السابق، ص:50.

3- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:6].

قال الشافعي: «فكل شيء من سماء وأرض وذي روح وشجر وغير ذلك فالله خلقه، وكل دابة فعلى الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها»[1].

وفي نمط العام الظاهر الذي يدخله الخاص، مثّل له بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة:120] ثم قال: «وإنما أريد من أطاق الجهاد من الرجال، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن نفس النبي، أطاق الجهاد أو لم يطقه، ففي هذه الآية الخصوص والعموم»[2].

والقرينة التي تعين على هذا المعنى هي السياق؛ إذ الآية جاءت في مقام العتاب الموجه للمؤمنين من أهل المدينة وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك[3]، والحال المعلومة للمخاطبين أن التكليف بالجهاد واقع على الرجال المطيقين له لا على النساء أو الصبيان أو من له عذر يرفع عنه الحرج، ولا يقع العتاب إلا على مكلف.

وفي نمط العام يراد به الخصوص مثّل له بكلمة "الناس" من خلال قوله تعالى:

1-﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:73].

2-﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج:73].

3-﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:199].

أشار الشافعي إلى أن كلمة "الناس" تطلق وتقع على ثلاثة نفر، وعلى جميع الناس، وعلى من بين جميعهم وثلاثة منهم[4].

وأمام تعدد المعنى لهذه الكلمة، صار لا بد من قرينة تحدد المعنى المراد في كل نص من النصوص القرآنية الثلاثة، هذه القرينة هي "السياق".

(1)-الشافعي، الرسالة، ص: 54.

(2)-المصدر نفسه، ص:54.

(3)- انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 64/11. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تقديم: عبد القادر الأرنؤوط، دمشق-سوريا، مكتبة دار الفيحاء، الرياض، مكتبة دار السلام، ط:1، 1414هـ-1994م، 526/2.

(4)-الشافعي، الرسالة، ص59-60.

فكلمة "الناس" في النص الأول ليس المقصود منها كل الناس؛ لأن «العلم يحيط أن لم يجمع لهم الناس كلهم ولم يخبرهم الناس كلهم ولم يكونوا هم الناس كلهم...وإنما هم جماعة غير كثير من الناس، الجامعون منهم غير المجموع لهم، والمخبرون للمجموع لهم غير الطائفتين، والأكثر من الناس في بلدانهم غير الجامعين ولا المجموع لهم ولا المخبرين»[1]؛ إذ السياق الذي جاء فيه هذا النص يبين ذلك، وأن كلمة "الناس" في هذا النص مفترقة المعنى يدل كل واحد منه على ناس مخصوصين لا على عمومهم.

وكلمة "الناس" في النص الثاني ليست على عمومها -وإن كان مخرج اللفظ عام على الناس كلهم- فإنه «بيِّنٌ عند أهل العلم بلسان العرب منهم أنه إنما يراد بهذا اللفظ العام المخرج بعض الناس دون بعض؛ لأنه لا يخاطب بهذا إلا من يدعو من دون الله إلها تعالى عما يقولون علوا كبيرا؛ لأن فيهم من المؤمنين المغلوبين على عقولهم وغير البالغين ممن لا يدعو معه إلها»[2].

وكلمة "الناس" في النص الثالث يقصد بها بعض الناس وليس كل الناس «فالعلم يحيط-إن شاء الله- أن الناس كلهم لم يحضروا عرفة في زمان رسول الله، ورسول الله المخاطب بهذا ومن معه، ولكنَّ صحيحا من كلام العرب أن يقال: (أفيضوا من حيث أفاض الناس) يعني بعض الناس»[3]. والقرينة هنا سياقية قائمة على دلالة ملابسات الزمان والذي هو عنصر مهم من عناصر السياق.

وفي نمط الظاهر الذي يعرف في سياقه غير ظاهره، مثّل له الشافعي بكلمة "القرية" في قوله تعالى:

1-﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:163].

2-﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء:11-12].

3-﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف:81-82].

---

[1]-المصدر السابق، ص:60.

[2]-الشافعي، الرسالة، ص:60-61.

[3]-المصدر نفسه، ص:61.

فالقرية في النص الأول المقصود بها أهلها؛ إذ «...ابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ الآية. دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون»[1]، فالقرية هنا على غير ظاهرها، وإنما انصرفت إلى غير الظاهر لقرينة السياق. والدلالة هنا لفظية وعقلية، اللفظية قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ والعقلية كون القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره وإنما أهلها هم العادون.

والمعنى نفسه تأخذه القرية في النص الثاني «فَذَكَرَ القرية فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم، ولما ذكر القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين»[2] والقرينة أيضا سياقية والدلالة لفظية وعقلية أيضا.

كذلك فالمعنى نفسه تأخذه كلمة "القرية" في النص الثالث إضافة إلى كلمة "العير"؛ أي أهل القرية وأهل العير. فإخوة يوسف عليه السلام «إنما يخاطبون أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير؛ لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم»[3]. والقرينة هنا سياقية أيضا، والدلالة عقلية؛ أي أن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم؛ إذ لا بيان لهما. وهذا مما يدرك بالعقل ويدل عليه الحس.

وما يلاحظ في كلام الشافعي وهو يدلل على ما ذهب إليه من المعاني توظيفه لعبارة: "العلم يحيط" أو عبارة "أحاط العلم" في المثال الأول والمثال الثاني من حديثه عن النمط الثاني من أنماط الكلام العربي المتعلقين بكلمة "الناس".

أما العلم المقصود في المثال الأول فهو متعلق بالملابسات الحالية التي نزل فيها النص القرآني، وهي مستمدة من أسباب النزول، فالعلم هنا يتجه إلى العلم بأسباب النزول والذي يدل دلالة تامة أن الناس في الآية إنما هم مخصوصون وليس كل الناس، لذلك عبر عن ذلك بقوله: «العلم يحيط...» والقصد أن علم أسباب النزول يدل دلالة تامة عن المعنى الخاص لكلمة الناس دون المعنى العام.

---

(1)-المصدر السابق، ص:63

(2)-الشافعي، الرسالة، ص:63

(3)-المصدر نفسه، ص:64.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأما العلم المقصود في المثال الثاني فهو متعلق بالدلالة العقلية المبنية على الاستنتاج؛ إذ العقل يحكم بداهة بناء على ما هو مشاهد من أحوال الإنسان أن الذي يعرف البأس من الناس هو وحده من يستطيع الإحساس به، فالعلم هنا عقلي وهو الاستنتاج الذي تقر ببداهة نتائجه العقول، وتقر أيضا أن نتائجه تامة بالبداهة.

فالاستنتاج العقلي دل أن الذين أحسوا البأس هم الآدميون، وليس الجماد المتمثل في القرية بناء وعمرانا؛ لأن من يعرف البأس يحس به وهذا في الآدميين ولا يكون في الجمادات.

وكل من الملابسات الحالية والدلالة العقلية في واقع الأمر من المرتكزات التي يقوم عليها السياق.

وكنتيجة لكل ما سبق يمكن القول أن الشافعي أسس لتوظيف السياق في الدراسات الأصولية عن طريق تأصيله لأنماط الكلام ووجوه المخاطبات المبني أساسا على توظيف مختلف الدلالات السياقية في تلك الأنماط الكلامية ووجوه المخاطبات كما هو ملاحظ في الأمثلة السابقة، كالدلالة اللفظية، ودلالة المقام وملابسات الحال، والدلالة العقلية في صورة الاستنتاج.

فهذه الأنماط الأربعة إذن تتشكل أساسا ضمن دلالة السياق التي تقوم بدور القرينة التي تعين على ضبط مصطلحات: العام، الخاص، الظاهر، وغير الظاهر (الباطن)، تصريحا أو ضمنا «إذ الكلام يؤخذ بداية في عمومه الظاهر، إلا إذا حال حائل سياقي أو مقامي دون ذلك، فيتحول الكلام العام إلى خاص أو على الأقل يدخله الخصوص، أو ينصرف الظاهر إلى الدلالة على غير ظاهره فيصبح الباطن هو المقصود بالدلالة لا غير»[1].

هذا فيما يخص الأنماط الأربعة من الكلام، أما الأنماط الثلاثة الأخيرة، فلم يقدم الشافعي لها أمثلة، وإنما اكتفى بتقريرها، ولو أنه مثّل لها لاكتملت لدى الدارس صورة دلالة السياق عنده، لكن حسبه أنه ابتدأ التأصيل وعلى من جاء بعده التفصيل.

---

[1]-يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، إربد-الأردن، عالم الكتب الحديث، ط:1، 2007م ص:82.

## المطلب الثاني: اهتمام الأصوليين بدلالة السياق

لقد كان الشافعي المؤصل الأول لتوظيف دلالة السياق في الدراسات الأصولية من خلال ما دونه في الرسالة من نص يقرر ذلك كما سبق.

إلا أنه يمكن القول أن دلالة السياق قبل الشافعي –وإن لم تكن مقررة ومؤصلة– فإنها معلومة محتج بها، اهتم بها العلماء والفقهاء، وهذا جريا على اعتبار أن علم أصول الفقه بمختلف أقسامه وكباقي العلوم الشرعية كانت من الناحية العملية موجودة في الممارسة الفقهية والأصولية، وإن كانت غائبة من الناحية النظرية إلا في القليل المتعلق ببعض القضايا التي كانت محل نقاش بين العلماء، كاختلافهم في بعض الأدلة مثل: اختلاف مالك والليث حول إجماع أهل المدينة واختلاف مالك والشافعي في الاستحسان وغير ذلك مما هو معلوم في علم أصول الفقه.

ولعلّ أحمد بن حنبل من المشاركين للشافعي في الاهتمام بدلالة السياق والأخذ بها، ذلك أنه احتج بها على الشافعي نفسه، فقد نقل الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه ذلك فقال: «وقد احتج بها أحمد على الشافعي في أن الواهب ليس له الرجوع من حديث (العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه)[1] حيث قال الشافعي: هذا يدل على جواز الرجوع؛ إذ قيء الكلب ليس محرما عليه. فقال أحمد: ألا تراه يقول فيه: (ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته...) الحديث، وهذا مثل سوء فلا يكون لنا»[2].

وهذا السياق المحتج به هو كما عبر عنه الشافعي بقوله: «وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أوَّل لفظها فيه عن آخره...»[3].

وهو سياق لفظي اعتمد على دلالة لفظية في أول الحديث قامت كقرينة متصلة بآخره أبانت الحكم الشرعي المراد، مع مراعاة حال المخاطب كون المثل المضروب في الحديث لا يكون من حاله المعهودة والمعلومة من أنه مخلوق مكرم ومفضل، لا يليق بمقامه مثل هذا المثل الذي ضرب، فانتفت المماثلة، فانتفى بذلك الحكم.

---

(1)-البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته. 3/142-143. مسلم، كتاب الهبات، باب: تحريم الرجوع في الصدقة والهبة. 11/62-65.

(2)-الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عبد الستار أبو غدة، مراجعة: عبد القادر عبد الله العاني، الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط:2، 1413هـ-1992م، 6/52.

(3)-انظر: هذه الدراسة، ص: 89.

لقد أشار الزركشي وهو يتكلم عن الأدلة المختلف فيها بين الأصوليين إلى معرفة العلماء لدلالة السياق، وأن هذه المعرفة واقعة من غالبيتهم إلا قليلا منهم فقال: «أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى»[1].وهذه المعرفة لا شك في أنها دفعت إلى الاهتمام بهذه الدلالة الاهتمام المطلوب.

و الزركشي نفسه من الذين اهتموا بدلالة السياق، واعتنى بها اعتناء كبيرا من خلال مؤلفاته الأصولية أو القرآنية، إلى درجة أنه عدَّها من الأدلة الشرعية في القسم المختلف فيه بين الأصوليين؛ حيث تكلم عنها في الدليل العاشر من الأدلة الشرعية المختلف فيها قبل أن يتكلم عن دليل قول الصحابي[2].

إلا أن اهتمام علماء الأصول فيما هو واضح من صنيعهم يتجه إلى وضع دلالة السياق في قسم الدلالات؛ أي القسم الذي يتناول طرق استنباط الأحكام من النصوص الشرعية والذي يهتم بدراسة الدلالات، والذي يكون الكلام فيه حول طرق دلالة النص على المعاني والأحكام، وهو عمدة علم الأصول على حد تعبير الغزالي الذي يقول في المستصفى: «اعلم إذا فهمت أن نظر الأصولي في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية لم يخف عليك أن المقصود معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة. فوجب النظر في الأحكام ثم في الأدلة وأقسامها ثم في كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة ثم في صفات المقتبس الذي له أن يقتبس الأحكام؛ فإن للأحكام ثمرات وكل ثمرة فلها صفة وحقيقة في نفسها ولها مثمر ومستثمر وطريق في الاستثمار، والثمرة هي الأحكام...»[3].

فعلم الأصول عند الغزالي أربعة أقسام: الأحكام، الأدلة،كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة والمُقتَبِس. وبتعبيره أربعة أقطاب: «القطب الأول في الأحكام والبداءة بها أولى؛ لأنها الثمرة المطلوبة. القطب الثاني في الأدلة وهي الكتاب والسنة والإجماع وبها التثنية؛ إذ بعد الفراغ من معرفة الثمرة لا أهم من معرفة المثمر. القطب الثالث في طريق الاستثمار وهو وجوه دلالة الأدلة وهي أربعة: دلالة بالمنظوم، ودلالة بالمفهوم، ودلالة بالضرورة والاقتضاء، ودلالة المعنى المعقول. القطب الرابع في

---

(1)-الزركشي، البحر المحيط، 52/6.

(2)-المصدر نفسه، 52/6.

(3)-الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، مصر، المطبعة الأميرية، (د.ط)، 1322هـ، 7/1.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المستثمر وهو المجتهد...»[1].

وفي القطب الثالث وهو كيفية استثمار الأحكام من مثمرات الأصول؛ أي الأدلة يقول: «اعلم أن هذا القطب هو عمدة علم الأول»[2].

وهذا القطب قسمه إلى ستة فصول، تكلم في الفصل الثالث منه عن دلالة السياق؛ إذ نبه الغزالي من أن اللفظ «...إن كان نصا لا يحتمل كفى معرفة اللغة، وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف...وإما إحالة على دليل العقل...وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدركها المشاهد لها...»[3].

وقرائن الأحوال من الإشارات والرموز والحركات والسوابق واللواحق التي لا تدخل تحت الحصر والتخمين سبيل الوقوف عليها هو النقل عن الصحابة الذين شاهدوا التتريل ووقفوا على أسبابه والأحوال المحيطة به، ينقلها عنهم التابعون بالألفاظ الصريحة أو مع قرائن من نفس جنسها أو من غيرها، والشرط في ذلك كله هو إفادة العلم الضروري الذي يفهم معه المراد أو إفادة الظن الغالب، يقول الغزالي: «فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا يفهم المراد، أو توجب ظنا، وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة فتتعين فيه القرائن»[4].

والجملة الأخيرة قاعدة عامة تفيد أن كل لفظ ليس له عبارة موضوعة في اللغة تكون مفهمة للمراد منه، تتعين فيه القرائن على ما ذكر الغزالي.

هذه القرائن هي في الحقيقة جملة الدلالات التي تشكل السياق، سواء كانت دلالة لفظية أو عقلية أو حالية.

وما قرره الغزالي فيما يخص توظيف القرائن عند وقوع الاحتمال، يؤكده ابن القيم في إعلام الموقعين بقوله: «الألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضع بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإيماءة أو دلالة عقلية أو

---

[1]-المصدر السابق، 8/1.

[2]-الغزالي ، المستصفى، 315/1.

[3]-المصدر نفسه، 339/1-340.

[4]-المصدر نفسه، 339/1-340.

قرينة حالية أو عادة له مطردة»[1].

وقوله: «أو عادة له مطردة» هي إشارة إلى ضرورة معرفة حال المُخَاطِبِ الذي يُعَدُّ ركنا أساسيا من أركان السياق. والمُخَاطِبُ في النص الشرعي هو الله عز وجل، وعادته هي قانونه أو سنته في معاملة المخاطبين من البشر. وعادة الله تعالى المطردة تكلم عنها الشاطبي في الموافقات؛ حيث اعتبرها قسما من أقسام العلوم المضافة للقرآن الكريم التي تعين على فهمه. فيقول في القسم الثالث: «وقسم هو مأخوذ من عادة الله في إنزاله، وخطاب الخلق به، ومعاملته لهم بالرفق والحسنى، من جعله عربيا يدخل تحت نيل أفهامهم، مع أنه المنزه القديم، وكونه تنزل لهم بالتقريب والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به، قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات، وهذا نظر خارج عمَّا تضمنه القرآن من العلوم، ويتبين صحة الأصل المذكور في كتاب الاجتهاد، وهو أصل التخلق بصفات الله والاقتداء بأفعاله»[2].

ومن أمثلة ما يتصل بهذا القسم من قواعد[3].

1-عدم المؤاخذة قبل الإنذار.

2-الإبلاغ في إقامة الحجة على ما خاطب به الخلق.

3-ترك الأخذ من أول مرة بالذنب، والحلم عن تعجيل المعاندين بالعذاب مع تماديهم على الإباية والجحود بعد وضوح البرهان وإن استعجلوا به.

4-تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحيي من ذكره في عادتنا.

5-التأني في الأمور والجري على مجرى التثبت، والأخذ بالاحتياط.

6-كيفية تأدب العباد إذا قصدوا باب الأرباب بالتضرع والدعاء.

والحاصل أن اهتمام الأصوليين بدلالة السياق جاء ضمن اهتمامهم بالبحث الدلالي و«البحث الدلالي عندهم رهين بفهم السبل المؤدية للأحكام، لذلك نظروا في الألفاظ وعلاقتها بمعانيها حالة

---

[1]- ابن القيم، إعلام الموقعين، (د.ط)، (د.ت)، 218/1.

[2]-الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، شرح: عبد الله دراز، اعتناء: إبراهيم رمضان، بيروت-لبنان، دار المعرفة، ط:2، 1416هـ-1996م، 340/3-341.

[3]-المصدر نفسه، 341/3-343.

إفرادها وتركيبها، وبحثوا أوجه الأدلة، وارتباطها بمدلولاتها، وانصرفت جهودهم إلى الإلمام بالمقتضيات العامة للخطاب، وسعوا للوقوف على المقاصد والمساقات الشيء الذي مكنهم من الإسهام بحظ وافر فيها»[1].

«كما أسفرت نظرتهم إلى اللفظة في بعدها الدلالي عن ضرورة الإلمام بالموقف الكلامي سواء تعلق الأمر بحال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المُخَاطِبِ أو المُخَاطَبِ أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك...من الأمور الخارجية وعمدتها مقتضيات الأحوال»[2].

ولقد ظهر اهتمامهم كما قال الجويني في البرهان فيما «...أغفله أئمة العربية، واشتد اعتناؤهم بذكر ما اجتمع فيه إغفال أئمة اللسان، وظهور مقصد الشرع، وهذا كالكلام على الأوامر والنواهي والعموم والخصوص وقضايا الاستثناء وما يتصل بهذه الأبواب، ولا يذكرون ما يَنُصُّهُ أهل اللسان إلا على قدر الحاجة الماسة التي لا عدول عنها»[3].

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (د.ط) 1422هـ-2001م، ص:156-157.

(2)-عبد الحميد العلمي، مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، ص:14.

(3)-الجويني أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1412هـ-1992م، 130/1.

## المطلب الثالث: الشاطبي والتقعيد لدلالة السياق في الدراسات الأصولية

إذا كان الشافعي يعدّ المؤصل الأول (تأصيل التأسيس) لدلالة السياق في الدراسات الأصولية كما تقدم، وإذا كان العلماء من بعده كالغزالي والزركشي وابن القيم وغيرهم من الأصوليين قد تكلموا عن دلالة السياق أو وظفوها في الصناعتين الأصولية والفقهية، فإن أبا إسحاق الشاطبي يعد المؤصل الثاني (تأصيل التجديد والتقعيد) لدلالة السياق؛ ذلك أنه امتاز بالنزعة التجديدية في أصول الفقه عموما، فإذا كانت عملية استنباط الأحكام الشرعية تقوم على ركنين: أحدهما علم لسان العرب، وثانيهما علم أسرار الشريعة ومقاصدها، فإن العلماء قبل الشاطبي أغفلوا الركن الثاني، فلم يتكلموا عن مقاصد الشارع إلا ما ورد إشارة في باب القياس عند تقسيم العلة بحسب مقاصد الشارع وبحسب الإفضاء إليها، بينما استفاضت المباحث الأصولية بدراسة الركن الأول المتعلق باللغة[1].

وبطريقة منهجية تروم الجديد وتجانب المكرور، وفي جرأة تتخطى المألوف، وقدرة علمية تستطيع الوفاء بالمطلوب، تقدم الشاطبي بدعوته التجديدية مناديا بتجاوز الوقوف عند القضايا اللفظية وضرورة الالتفات إلى العلل والمقاصد الشرعية[2]، مستعرضا في ذلك القواعد المؤصلة والكليات المؤسسة بل «لم تقف به الهمة في التجديد والعمارة لهذا الفن، عند حد تأصيل القواعد، وتأسيس الكليات المتضمنة لمقاصد الشارع في وضع الشريعة، بل جال في تفاصيل مباحث الكتاب أوسع مجال، وتوصل باستقرائها إلى استخراج درر غوال لها أوثق صلة بروح الشريعة، وأعرق نسب بعلم الأصول»[3]، وهو في هذا «يقدم نظرة تحليلية لمختلف المسائل الدلالية من خلال عطاءاته المقاصدية.

وكان من المسائل الدلالية التي تناولها بالتحليل والتقعيد وتقدم فيها على من سبقوه دلالة السياق «فالمتتبع لمسألة السياق في عمله يجدها أضبط وأشمل مقارنة بما ورد عند غيره..»[4].

وأول قاعدة وضعها الشاطبي فيما يخص اعتبار السياق قوله: «كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار المساق في دلالة الصيغ»[5]، وذلك «ليكون قرينة ضابطة لغرض المتكلم، وصارفة له إلى

---

[1]-عبد الله دراز، مقدمة شرح الموافقات، 1/10-12.

[2]-عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، ص:13.

[3]-عبد الله دراز، مقدمة شرح الموافقات، 1/12.

[4]-عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، ص:235.

[5]-الشاطبي، الموافقات، 3/140.

حيث يريد وإن لم يكن هو المعنى الأصلي»[1].

فيبدأ الشاطبي من حيث بدأ الشافعي من تقرير أن القرآن نزل بلسان العرب، وأنه عربي، وأنه لا عجمة فيه، والمقصود من هذا أن طلب فهم القرآن إنما يكون من جهة لسان العرب، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة.

ونزول القرآن بلسان العرب **فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره، أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد، وكل هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي ولا من تعلق بعلم كلامها**[2].

وهذا النص —من خلال ما سبق– هو للشافعي، ويعد النص الأول لتأصيل دلالة السياق في الدراسات الأصولية، واعتماد الشاطبي له يعني اعتماده لمضمونه من جهة، ومن جهة أخرى اعتماده لما أقدم عليه بعد ذلك من تقعيد القواعد المتصلة بالمضمون، أي المتصلة بدلالة السياق، فالنص يبقى المنطلق لكل عملية تجديد.

والشاطبي باعتماده لمضمون هذا النص عمد إلى تناول مباحث دلالة الألفاظ، مقعدا القواعد المتعلقة بدلالة السياق، متناولا هذا المبحث بالتحليل والتعليل والتمثيل.

فدلالة ألفاظ اللغة العربية نظر إليها ابتداء نظرين اثنين:

**الأول:** من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة، دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية، وهي التي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ويمكن معها الإخبار عن أقوال الأولين باللسان العربي، وحكاية كلامهم، كما يأتي في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها.

**الثاني:** من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة، دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التبعية، وهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار، فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار، بحسب المُخبِر والمخبَر عنه والمخبَر به، ونفس الإخبار، في الحال والمساق ونوع

---

[1]-عبد الله دراز، هامش الموافقات، 140/3.

[2]-الشاطبي، الموافقات، 376/2.

الأسلوب، من الإيضاح والإخفاء، والإيجاز والإطناب وغير ذلك.

ويضرب لذلك مثلا بوقوع الأخبار حول: قيام زيد، فيقال: قام زيد عند غياب العناية بالمخبر عنه، وفي وجود العناية به يقال: زيد قام، وفي جواب السؤال يقال: إن زيدا قام، ويقال: والله إن زيدا قام عند جواب المنكر لقيامه، وفي إخبار من يتوقع قيامه أو الإخبار بقيامه يقال: قد قام زيد، أو زيد قد قام، وفي التنكيت على من ينكر يقال: إنما قام زيد، ويتنوع هذا الإخبار بحسب تعظيم المخبر عنه أو تحقيره، وبحسب الكناية عنه والتصريح به، وبحسب ما يقصد في مساق الإخبار، وما يعطيه مقتضى الحال إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها[1].

ويقول: «فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي، ولكنها من مكملاته ومتمماته، وبطول الباع في هذا النوع يحسن مساق الكلام إذا لم يكن فيه منكر، وهذا النوع الثاني اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القرآن، لأنه لا يتأتى مساق القصة في بعض السور على وجه، وفي بعضها على وجه آخر، وفي ثالثة على وجه ثالث، وهكذا ما تقرر فيه من الإخبارات لا بحسب النوع الأول، إلا إذا سكت عن بعض التفاصيل في بعض ونص عليه في بعض، وذلك أيضا لوجه اقتضاه الحال والوقت ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:4]» [2].

ومن الدلالة اللفظية التي تناولها بالدرس في ضوء نظرته إلى السياق (مقتضى الحال) دلالة ألفاظ العموم، وأنها تطلق عند العرب بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام خاصة دون ما تدل عليه تلك الألفاظ بحسب الوضع الإفرادي، كذلك تطلق عندهم بقصد تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع، وكل ذلك ضابطه ما يدل عليه مقتضى الحال[3]، «فالمتكلم قد يأتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره، وهو لا يريد نفسه، ولا يريد أنه داخل في مقتضى العموم، وكذلك قد يقصد بالعموم صنفا مما يصلح اللفظ له في أصل الوضع دون غيره من الأصناف، كما أنه قد يقصد ذكر البعض في لفظ العموم ومراد من ذكر البعض الجميع»[4].

والوضع الإفرادي لصيغ العموم وأصل الوضع يندرجان في الأصل القياسي، والكلام الخاص الذي يدل عليه مقتضى الحال يندرج في الأصل الاستعمالي «والقاعدة في الأصول العربية أن الأصل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- المصدر السابق، 2/377-378.

[2]- الشاطبي، الموافقات، 2/378.

[3]- المصدر نفسه، 3/239-240.

[4]- المصدر نفسه، 3/240.

الاستعمالي إذا عارض الأصل القياسي كان الحكم للاستعمالي»[1].

«فالحاصل أن العموم إنما يعتبر بالاستعمال، ووجوه الاستعمال كثيرة، ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان»[2].

ومقتضيات الأحوال عنده تشمل حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المُخاطِب أو المُخاطَب أو الجميع؛ إذ يقول: «معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المُخاطِب، أو المُخاطَب أو الجميع»[3]، وهذه قاعدة، وقاعدة أخرى وهي متعلقة بالخطاب من حيث أن فهمه يختلف باختلاف مقتضيات الأحوال فيقول: «...الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك»[4].

ومن الوجوه الاستعمالية التي نصّ عليها الشاطبي الاستعمال الشرعي، والقاعدة فيه: «أن نسبة الوضع [الاستعمالي] الشرعي إن مطلق الوضع الاستعمالي العربي كنسبة الوضع في الصناعات الخاصة إلى الوضع الجمهوري»[5]؛ أي أن الاستعمال الشرعي هو وضع استعمالي خاص من عموم الأصل الاستعمالي، يتصل بدلالة الألفاظ على ما هو حُكمي، ومثاله لفظة "الصلاة" «أصلها الدعاء لغة، ثم خصت في الشرع بدعاء مخصوص على وجه مخصوص، وهي فيه حقيقة لا مجاز، فكذلك... في ألفاظ العموم بحسب الاستعمال الشرعي... إنما تعم بحسب مقصد الشارع فيها...» [6].

والحاصل هو أن «هذا الوضع وإن كان قد جيء به مضمنا في الكلام العربي فله مقاصد تختص به، يدل عليها المساق الحكمي أيضا، وهذا المساق يختص بمعرفته العارفون بمقاصد الشارع، كما أن الأول يختص بمعرفته العارفون بمقاصد العرب...»[7]، وكما أن لمقاصد العرب من استعمالاتها مساق متعلق بتلك المقاصد، فإن للاستعمال الشرعي مساق خاص يدل على مقاصد الشارع متعلق بها يوصف بالحكمي؛ أي المساق الحكمي الذي يختص بمعرفته العارفون بمقاصد الشارع؛ إذ «بموجبه يتعين النظر في العلل وتفاريق الأمارات، وأوجه الحكم الجزئية والمصالح الكلية التي تتجسد معانيها في مقاصد الشرع

---

(1)-المصدر السابق ، 239/3.

(2)-الشاطبي، الموافقات ، 241/3.

(3)-المصدر نفسه، 311/3.

(4)-المصدر نفسه، 311/3.

(5)-المصدر نفسه، 245/2.

(6)-المصدر نفسه، 245/3.

(7)-المصدر نفسه، 245/3.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السامية»[1]. والمعبر عنه بسياق المقاصد[2].

ومثال هذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:82] فالظلم هنا أشكل فهمه على بعض الصحابة حتى سألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أنه الشرك بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13].

لكن هل السياق الحكمي هنا يدل على ذلك؟

«إن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص؛ فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه، والذي تقدم قبل الآية قصة إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه بالأدلة التي أظهرها لهم في الكوكب والقمر والشمس. وكان قد تقدم قبل ذلك قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأنعام:21] فبين أنه لا أحد أظلم ممن ارتكب هاتين الخلتين، وظهر أهما المعني هما في سورة الأنعام إبطالا بالحجة، وتقريرا لمترلتهما في المخالفة وإيضاحا للحق الذي هو مضاد لهما»[3].

أما سؤال الصحابة عن الظلم فلعله ورد قبل تقرير هذا المعنى، أو لما كان تقريرا لحكم شرعي بلفظ عام كان مظنة لأن يفهم منه العموم في كل ظلم، دق أو جلّ وكان ذلك عند نزول السورة وهي مكية نزلت في أول الإسلام قبل تقرير جميع كليات الأحكام والتي منها:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48].

وسبب وقوع الإشكال في فهم المراد من الظلم هو النظر إلى الآية باعتبار ذاتها دون النظر إليها باعتبار الآيات الأخرى السابقة لها واللاحقة، ولا قرينة فيها على استغراق أنواع الظلم، بل في السورة ما يدل أن الظلم الوارد فيها معناه معروف وهو ظلم الافتراء على الله والتكذيب بآياته «فصارت الآية من جهة إفرادها بالنظر في هذا المساق، مع كوها أيضا في سياق تقرير الأحكام مجملة في عمومها فوقع الإشكال فيها»[4]، وجعل الآية مجملة فاحتاجت إلى السؤال والجواب للبيان لا للتخصيص.

وكمثال ثان ما في الصحيح أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كلّ امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ومالكم ولهذه

[1]-عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، ص:238.

[2]-المصدر نفسه، ص:238

[3]-الشاطبي، الموافقات، 3/245-246.

[4]-المصدر نفسه، 3/246-247.

إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران:187] كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران:188][1].

«فمروان أفرد الآية عما قبلها فظن العموم، فبين له الحبر في جوابه ما يتزل عليه هذا العموم بمساعدة سياق الآية والقصة التي نزلت فيها»[2].

والقاعدة التي تحكم المثالين هي قول الشاطبي: «المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل»[3].

ومقتضى هذه القاعدة هو «الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية[4]، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر إلى أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف»[5].

ويتفرع عن هذا قاعدة تحكم القضية الملتفت إليها في الكلام، ومفادها أن: «الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار... وتارة يكون متعددا في الاعتبار.» [6].

ومعناها أن الكلام تارة يكون قد أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون قد أنزل في قضايا متعددة، كسورة البقرة وآل عمران والنساء والعلق... سواء نزلت السورة دفعة واحدة أو نزلت مفرقة[7].

والاعتبار في الكلام يتجه إلى النظر في تعدد القضايا، فتكون كل قضية مختصة بنظرها، وإلى النظم الذي رتبت عليه السورة بترتيب الوحي، وضابطه هو النظر في أول الكلام وآخره بحسب

---

(1)-البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا﴾، 174/5.

(2)-عبد الله دراز، هامش الموافقات، 248/3-249.

(3)-الشاطبي، الموافقات، 375/3.

(4)-أي أن الالتفات لا يكون بحسب السورة برمتها دائما، فقد تكون السورة نازلة في قضايا كثيرة، فكل قضية تعتبر وحدها طالت أو قصرت... انظر: عبد الله دراز، هامش الموافقات، 375/3.

(5)-الشاطبي، الموافقات، 375/3.

(6)-المصدر نفسه، 375/3.

(7)-المصدر نفسه، 375/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاعتبارين[1]؛ أي النظر في مساق الكلام.

هذا وإن السياق أو المساق -على حد تعبير الشاطبي- قد تنوع عنده أنواعا عديدة ردها عبد الحميد العلمي إلى[2]:

1-سياق أو مساق لغوي، وهذا النوع يتفرع إلى:

أ-سياق لغوي في وضعه الإفرادي.

ب-سياق لغوي في وضعه الاستعمالي العربي.

جـ-سياق لغوي في وضعه الاستعمالي الشرعي.

2-سياق التخاطب ومداره على مقتضيات الأحوال.

3-سياق التتريل والمستند إلى أسباب الترول وما تفيد من ملابسات حالية وزمنية وسلوكية للمكلفين زمن الترول تدخل في بيان المعنى.

4-سياق المقاصد أو المساق الحكمي الذي يفيد النظر في العلل والأمارات والمصالح الكلية أو الجزئية المتجسدة في مقاصد الشارع.

5-سياق الاستقراء الذي يستفاد منه في استقراء كليات الشريعة وجزئياتها لأجل نظمها في قانون كلي يجري في الحكم مجرى العموم المستفاد من الصيغ.

---

(1)-الشاطبي، الموافقات، 3/375-376.

(2)-انظر: عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، ص:235-240.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: السياق في علوم القرآن والتفسير

### المطلب الأول: السياق وعلاقته بعلوم القرآن

للسياق علاقة وثيقة بعلوم القرآن في الدراسات القرآنية؛ إذ يرتبط بعديد من المباحث القرآنية ويدخل في تحديد المفاهيم المتصلة بموضوعاتها؛ فهو الذي يمكن من ضبط معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم، وهو الذي تندمج أسباب النزول به حتى تتطابق معرفتها بمعرفته ويصيران أمرا واحدا، لينطلق بعد ذلك بالمعنى من الخصوص الذي دل عليه أسباب النزول إلى العموم المتناسب مع ترتيب النظم الكريم، وهو دعامة أسلوب القصص القرآني الذي يمكنه من مظان الاتعاظ بها، وهو الذي يدفع توهم التعارض والتضاد بين آيات القرآن المبينات، وهو الضابط في حمل كلماته على مختلف المحامل التي تسمح بها تراكيبه من اشتراك وحقيقة ومجاز...

إلا أن العلاقة بين السياق والمباحث القرآنية وقع التلميح بها دون التصريح، وهذا هو الملاحظ على كتب علوم القرآن عموما، ولهذا تحاول هذه الدراسة الكشف عن تلك العلاقة من خلال تتبع موضوعات المباحث القرآنية والبحث عن رابط بينها وبين السياق.

**أولا–** إن المكي والمدني علم من علوم القرآن التي أولاها العلماء بالدرس والبيان؛ إذ عدوه من أشرف العلوم المتصلة بالقرآن، بل من أشرف علومه[1]

ولقد اعتنوا فيما اعتنوا به تحديد طرق معرفة المكي والمدني ووضع الضوابط التي تميز هذا النوع من القرآن عن غيره.

ولمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي[2]

أما السماعي فيرجع فيه لحفظ الصحابة وتابعيهم وهو الأصل، وأما القياسي فله ضوابط متصلة بالفروق بين النوعين من حيث الموضوع والأسلوب والبيان وهو الفرع[3].

كذلك اعتنوا بالأساس الذي عليه وضعوا الفرق بين المكي والمدني، وكان عنصر الزمان أشهر أساس؛ فالمكي كل ما نزل قبل الهجرة ولو كان خارج مكة أو كان بالمدينة، والمدني كل ما نزل بعد الهجرة ولو كان بمكة.

---

(1)- الزركشي، البرهان، 192/1.

(2)- المصدرنفسه، 189/1.

(3)- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، عمان- الأردن، دار الأعلام، ط:1، 1426هـ-2005م، ص:213-214.

هذا هو الأساس المشهور عند العلماء، إلا أن هناك أساسان قال بهما بعض العلماء هما: مكان النزول والأشخاص المخاطبون.

أما مكان النزول فكل ما نزل بمكة فهو مكي ولو بعد الهجرة. ويدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية. وكل ما نزل بالمدينة فهو مدني. ويدخل في المدينة ضواحيها كبدر وأحد وسلع.

أما الأشخاص المخاطبين فكل ما وقع خطابا لأهل مكة فهو مكي، وكل ما وقع خطابا لأهل المدينة فهو مدني[1].

و إذا كان الأساس الأول هو الأشهر والأرجح؛ لأنه ضابط حاصر مطرد لا يفتقر إلى تقييد أو استثناء بخلاف الأساسين الآخرين «فإن الحق أن هذه الأسس الثلاثة جميعا... تكاد تلتقي في معظم آيات القرآن الكريم، والقليل الذي يجري عليه الخلاف بعد ذلك هو ما أشار إليه العلماء وخصوه بالحديث تحت العناوين الكثيرة»[2] من مثل: ما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة...[3].

و هذه الأسس الثلاثة (الزمان والمكان والأشخاص المخاطبون) ما هي في الواقع إلا من عناصر السياق كما تقدم[4] وما توظيفها في معرفة المكي والمدني إلا توظيف لعناصر السياق؛ أي توظيف الملابسات والأحوال المتصلة بالزمان والمكان والأشخاص المخاطبين.

ولما كانت الأسس الثلاثة متغيرة (تغير الزمان والمكان و الأشخاص) كانت الملابسات والأحوال متغيرة هي الأخرى، فتعدد بذلك السياق؛ أي أن السياق الذي نزلت فيه الآيات القرآنية المكية يختلف عن السياق الذي نزلت فيه الآيات القرآنية المدنية، تبعا للملابسات والأحوال المتصلة بالزمان والمكان والأشخاص المخاطبين؛ أي تبعا لمراحل الدعوة المحمدية التي تشكلت بالأساس من تغير الزمان والمكان والأشخاص المخاطبين بها.

فمراحل الدعوة المحمدية تختلف من حيث:

1- الزمان: وهو في المرحلة المكية يمثل البدايات الأولى للدعوة المحمدية، وفي المرحلة المدنية يمثل النهايات التي انتهت إليها الدعوة.

---

(1)- الزركشي، البرهان، 187/1. السيوطي، الإتقان، 1/ . وانظر: عدنان زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص: 212-213.

(2)- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص: 213.

(3)- انظر الزركشي، البرهان، 192/1.

(4)- انظر هذه الدراسة ص: 62.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبين البدايات والنهايات زمن ممتد يقارب بينهما ليصلا إلى نقطة زمنية واحدة هي الهجرة النبوية التي فاصلت بينهما وفصلت بين الملابسات والأحوال وغيَّرتها وجعلتها متباينة في المرحلتين الزمنيتين المكية والمدنية.

2- المكان: وهو المحيط الجغرافي الذي يشمل مكة وضواحيها بما يحتوي عليه من نواحي الحياة المختلفة السائدة المرتبطة أساسا بالمعتقد والسلوك الاجتماعي، ويمثل المرحلة المكية. وأما المرحلة المدنية فيمثلها المحيط الجغرافي الذي يشمل المدينة وضواحيها وما يحتوي عليه هو الآخر من نواحي الحياة المختلفة التي سادت -والمغايرة للتي في المحيط الجغرافي الأول- والمرتبط أساسا بالمعتقد والتشريع والسلوك الاجتماعي.

3- الأشخاص المخاطبون: ففي المرحلة المكية توجه الخطاب إلى طائفتين اثنتين هما: طائفة المؤمنين وطائفة المشركين. وفي المرحلة المدنية توجه الخطاب إلى طائفة المؤمنين وطائفتين جديدتين هما: طائفة أهل الكتاب من اليهود خاصة وطائفة المنافقين.

والأسس الثلاثة من شأنها تنويع المخاطبات القرآنية في المرحلتين المكية والمدنية، ولضبط نوع الخطاب المتصل بكل مرحلة ليس هناك أضبط من مراعاة السياق؛ بمعنى مراعاة الملابسات والأحوال المتغيرة المتصلة بالأشخاص المخاطبين المرتبطين بالزمان والمكان؛ أي مراعاة تغير المقام لتغير الحال؛ إذ لكل حال مقام ولكل مقام مقال.

**ثانيا-** ومعرفة أسباب النزول من أهم العلوم التي اعتنى بها علماء القرآن والتفسير، حتى أن منهم من أفرده بالتصنيف[1]، وهو عندهم «ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه»[2].

والمعنى أنه حادثة وقعت زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه عليه الصلاة والسلام، فنزلت الآية أو الآيات بما يتصل بتلك الحادثة الواقعة أو بجواب ذلك السؤال، أما قولهم «أيام وقوعه» فقيد منهم احترازا عن الآيات التي نزلت ابتداء من غير سبب.

ويعني هذا القيد ويقصد به عندهم الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثا عن ذلك السبب،

---

[1]-الزركشي، البرهان، 1/22-23. السيوطي، الإتقان، تحقيق وتعليق: فواز أحمد زمرلي، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ط:1، 1419هـ-1999م، 1/120.

[2]-المصدر نفسه، 1/90. عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص:197.

سواء أوقع الترول على الفور أم على التراخي[1].

والظروف المعنية ما هي إلا الأحوال والملابسات المتصلة بالحادثة الواقعة أو السؤال الموجه، ومن هنا تبدأ العلاقة بين أسباب الترول والسياق؛ إذ أن أسباب الترول تكشف عن الملابسات الحالية التي رافقت نزول النص القرآني، أو بمعنى أدق لأجلها كان الترول، هذه الملابسات الحالية هي التي يهتم بها السياق (سياق الحال أو المقام) وهي من أهم مكوناته؛ إذ يتوقف فهم النص القرآني على ربطه بالملابسات الزمانية والمكانية وحال المخاطبين.

وأسباب الترول والسياق من هذه الجهة يتحدان ويتطابقان، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، أو اعتبار أحدهما مناقض للآخر.

فالعلاقة بين أسباب الترول والسياق علاقة وظيفية بمعنى أن كلا منهما يؤدي الوظيفة نفسها التي تعين على فهم معاني النصوص المترلة.

ومن هنا لا بأس بالاصطلاح على هذه الجهة الجامعة بين أسباب الترول والسياق بمصطلح جامع بينهما هو: سياق الترول.

والنص القرآني المترل وكما أنّه متصل بسياق الترول (الملابسات والأحوال التي تمثل أسباب الترول)، فإنه متصل بسياق آخر يهتم بالروابط التي لهذا النص بالنصوص القرآنية السابقة له واللاحقة به؛ أي الروابط المتصلة بالنص من حيث موضعه من النظم القرآني الكريم.

هذا الموضع يعطي للنص معنى ثان غير المعنى الأول الخاص بأسباب الترول، هذا المعنى الثاني متصل بالسياق الرابط بين النصوص القرآنية ضمن الوحدة النصية القرآنية الكبرى (السورة) هذا السياق مبني على مناسبة النص من حيث موضوعه لما قبله ولما بعده من نصوص، والذي يمكن الاصطلاح عليه بسياق التناسب.

وقبل التحدث عن المناسبة وعلاقة السياق بها، يمكن تسجيل هذه النتيجة التي مفادها، أن النص القرآني له دلالتان:

**الأولى:** مرتبطة بسياق الترول المبني على أسباب الترول، وهي دلالة أولية خاصة مرتبطة بالأسباب الخاصة.

**الثانية:** مرتبطة بسياق التناسب المبني على المناسبة بين النصوص، وهي دلالة نهائية عامة تنتهي إلى

---

[1]- الزرقاني، المناهل، 89/1.

العموم أو العموم الذي يدخله الخصوص؛ أي العموم الذي يتجه إلى أفراد مخصوصين. قال الزركشي: «وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق...» [1].

**ثالثا**– والمناسبة هي: «وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة..» [2].

فقد تكون المناسبة بين الجملة والجملة تأكيد الثانية لما قبلها، أو بيانا لها أو اعتراضا.

وقد تكون المناسبة بين الآية والآية تعلق الثانية بالأولى على وجه من وجوه الارتباط يجمع بينها كالمقابلة أو المضادة أو الاستطراد أو التمثيل أو المقام...» [3].

وقد تكون المناسبة في مراعاة حال المخاطبين، وقد تكون بين السورة والسورة كما قد تكون بين فواتح السور وخواتيمها[4].

والمرجع في كل ذلك إلى معنى رابط عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي (تصوري) أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كتلازم السبب والمسبب، وتلازم العلّة والمعلول، وتلازم النظيرين وتلازم الضدين، أو التلازم الخارجي المرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر[5].

والقاعدة الكلية في معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن هي: النظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة.

يقول أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله المشدالي[6] فيما نقله عنه برهان الدين البقاعي[7] :

---

(1)–الزركشي، البرهان، 25/1.

(2)–مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ–1999م، ص:97.

(3)–انظر: الزركشي، البرهان، 40/1–43. السيوطي، الإتقان، 219/2–221.

(4)–مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص:98–99.

(5)–الزركشي، البرهان، 35/1. السيوطي، الإتقان، 218/2.

(6)–هو: أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد المشدالي البجائي، مفسر عالم بالحديث ورجاله أصولي فرضي فقيه من أشهر علماء المالكية في عصره، تصدر للإقراء والتدريس، طوّف بالبلدان و جوار البيت الحرام كان مولده نحو 828هـ ووفاته سنة 865هـ . انظر عادل نويهض ، معجم المفسرين، 802/2ـ 803.

(7)–هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي الخرباوي البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ مفسر محدث أديب، من خربة روحا من البقاع بلبنان، من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور في التفسير، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، والفتح القدسي في تفسير آية الكرسي، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. انظر: الزركلي، الأعلام، 50/1.

**الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته[1]تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية وفي كل سورة وسورة والله الهادي[2].**

قال الزركشي: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[3].

ومعنى هذا أن ذكر الآية بعد الآية إما أن يكون الارتباط واضحا بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض، أو لعدم تمام المعنى بالآية الأولى، فهذه الحالة لا تدخلها المناسبة، وإما أن يكون الارتباط غير واضح وتكون كل جملة أو آية مستقلة عن الأخرى في المعنى، فهذه الحالة يطلب لها المناسبة بطريقين:

**الأول:** طريق العطف، أي عطف الثانية على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم.

**الثاني:** طريق القرائن المؤذنة بالربط[4]، وهي طرائق معنوية لها أسباب كـ:التنظير والمضادة والاستطراد...[5].

والذي يضبط الطريقين هو مراعاة الغرض الذي سيقت له السورة؛ أي أن سياق السورة هو من يدل على العطف لربط آية بآية أخرى مثلا، وهو القرينة الأولى والأضبط التي تدل على الربط بين الجملة والجملة من الآية، أو بين الآية والآية أو بين فواتح السور وخواتيمها، أو بين السورة والسورة كما يدل عليه كلام الزركشي وكلام أبي الفضل آنفا.

---

[1]- عند السيوطي: "فإذا عقلته"بدل"فإذا فعلته" ولعله الصواب. انظر: السيوطي، الإتقان، 221/2.

[2]-البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مراجعة: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1415هـ-1995م، 11/1. وانظر: السيوطي، الإتقان، 221/2.

[3]-الزركشي، البرهان، 39/1.

[4]-المصدر نفسه، 40/1. وانظر: السيوطي، الإتقان، 218/2.

[5]-المصدر نفسه، 47/1-50. وانظر: السيوطي، الإتقان، 219/2.

وفائدة العلم بالمناسبة «جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[1].

وهذه الفائدة هي نفسها التي يتجه إليها توظيف السياق الذي يجعل من الكلام بناءً محكما من بدئه إلى منتهاه.

فالكشف عن المناسبات متوقف أساسا على توظيف السياق.

**رابعا– ومن القضايا القرآنية المتعلقة بالمناسبة ويدخلها السياق معرفة الفواصل؛** أي فواصل الآي والسور. والفاصلة عند علماء القرآن[2]:

1–كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع.

2–كلمة آخر الجملة.

3–حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعنى.

والفرق بين التعريفين الأول و الثاني هو أن الأول ربط الفاصلة برؤوس الآي، بينما الثاني ربطها بنهاية الجملة ولو لم تكن رأس آية.

والفرق الذي يضيفه التعريف الثالث هو أنه ربط الفاصلة بالوظيفة التي تؤديها ضمن المقطع الواردة فيه والمعبر عنها بـــ: إفهام المعنى؛ أي أن وظيفتها دلالية عبّر عنها عدنان محمد زرزور بـــ: إحكام بناء الآية في الشكل والمضمون، أو في المبنى والمعنى على حد سواء[3].

وبغض النظر عن هذه الفروق في تعريف الفاصلة، فالذي يهم من ذلك كله الوظيفة التي تؤديها الفاصلة والمتصلة بالمعنى، هذه الوظيفة لا تتم إلا بإيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل على حد تعبير الزركشي حيث يقول: «واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكدة جدًّا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما»[4]، بل إنّه «لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه»[5].

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)–المصدر السابق، 36/1.

(2)–الزركشي، البرهان، 53/1.

(3)–عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص:542-544.

(4)–الزركشي، البرهان، 60/1.

(5)–المصدر نفسه، 72/1.

وحسن النظم والتئامه لا يكون إلا بتحكيم المعنى الذي يدل عليه السياق، ومن هنا يأتي دور السياق في تمكين الفاصلة في مكانها وتعليق معناها بمعنى الكلام المسوق فـ«تأتي الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم»[1].

وكمثال لما سبق فواصل سورة عبس، في قوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس:1-10].

نزلت هذه الآيات في عتاب النبي ﷺ لحادثة وقعت، حيث أعرض ﷺ عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وقد جاءه يطلب إرشاده وتعليمه، وكان عند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر[2].

وسياق الآيات القرآنية يصور هذه الحادثة ويكشف عن حال النبي ﷺ مع ابن أم مكتوم، كما يكشف أيضا عن حال هذا الأخير، بمعنى أن السياق هنا يصور شأنا من شؤونه ﷺ مع واحد من صحابته في حادثة بعينها.

وحالة النبي ﷺ هي الإعراض الذي وقع منه، والذي صورته كلمة "عبس" وكلمة "تولى" فقد ارتسم العبوس على وجهه الشريف، ووقع التولي منه والذي قد يكون نفسيا أو سلوكيا.

أما حالة ابن أم مكتوم فتصورها كلمات "الأعمى"، "يسعى"، "يخشى".

فصفته أنه أعمى والتي تدل على أن من يحمل هذه العاهة لا ينبغي لأحد أن يعرض عنه في أي موقف كان، وكلمة "يسعى" تصوير لحالته الجسمية الخارجية، وكلمة "يخشى" تصوير لحالته الإيمانية الداخلية الذي دفعته إلى ذلك السعي الذي لا يستوي فيه مع البصير.

والكلمات السابقة وقع التصوير بها بصيغة الغائب تمكينا للفاصلة؛ إذ لو جاءت بصيغة المخاطب لكان فساد الفاصلة[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)-المصدر السابق، 79/1.

(2)-الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، الجزائر، دار الضياء-قصر الكتاب، (د.ط)(د.ت)، ص: 251.

(3)-عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص: 547-550.

وكمثال ثانٍ قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]. حيث أن الفاصلة في هذه الآية خالفت فاصلة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 18]. فمع أن الموضوع واحد في الموضعين، جاءت الفاصلتان مختلفتان، حيث اتصلت الأولى بوصف الْمُنْعَمِ عليه، واتصلت الثانية بوصف الْمُنْعِمِ، وهذا رعاية للمناسبة التي دل عليها السياق في كل موضع؛ إذ «أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه. وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه»[1].

وصفة الإنسان عند أخذ النعم الكثيرة ظلوم كفار، وصفة الله تعالى عند إعطاء النعم الكثيرة غفور رحيم، يقابل ظلم الإنسان بالمغفرة، ويقابل كفره بالرحمة[2].

**خامسا**– والقصص القرآني محور كبير من محاور القرآن الكريم، حيث شغل أجزاء كثيرة منه. ومعناه إخبار القرآن عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.

ولم يأت القصص في القرآن الكريم لأجل التسلية والمؤانسة بل جاء لغاية أسمى وأعلى من مجرد الاستئناس به.

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «امتن الله تعالى على رسوله ﷺ بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:3]. فعلمنا من قوله: (أحسن القصص)، أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض، وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا»[3].

والغرض أو الغاية الأسمى من إيراد القصص في القرآن هي حصول الاتعاظ وأخذ العبر المتصلة بحال المخاطبين، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

ولا تحصل هذه الغاية إلا باكتساب القصص القرآني لصفتين هما: صفة البرهان وصفة التبيان، عن طريق المناسبة التي جاء لأجلها والتي يدل عليها السياق.

---

(1)–الزركشي، البرهان، 86/1.

(2)–المصدر نفسه، 86/1.

(3)–محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 64/1.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا من أسلوب القرآن القصصي الخاص به و«هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر... فكان أسلوبه قاضيا للوطرين، وكان أجل من أسلوب القصاص في سوق القصص لمجرد معرفتها؛ لأن سوقها في مناسبتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان»[1].

«ولأجل ذلك لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون الأمر في كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها»[2].

والقصة القرآنية الواحدة تختلف حكايتها من سورة إلى سورة أخرى من القرآن الكريم، ويذكر فيها في موضع ما لا يذكر في موضع آخر، أو يذكر بعضها في موضع ويذكر بعضها الآخر في موضع ثان.

والسبب في ذلك –إلى جانب تجنب التطويل في الحكاية الواحدة طلبا للعبرة المتصلة بالموضع- هو رعاية ما يناسب حال السامعين أو المخاطبين، ورعاية السياق (المقام) الذي سيقت له القصة.

فقد تساق القصة إلى المشركين، وقد تساق إلى أهل الكتاب، وقد تساق إلى المؤمنين، وقد تساق إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى، وبذلك تتفاوت القصة من حيث الإطناب والإيجاز، ويتعدد دورها أو تكرارها على حسب السياقات أو المقامات[3].

وهكذا يكون السياق عاملا أساسيا في إيراد القصص القرآني، وضابطا لمميزاته المتصلة بأسلوبه المباين لأساليب البشر في أعمالهم القصصية، إضافة إلى كشفه عن الغاية السامية من إيراده.

[1]-المصدر السابق، 69/1.

[2]-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 57/1.

[3]-المصدر نفسه، 69/1.

## المطلب الثاني: السياق وعلاقته بالتفسير

يرى الزركشي في البرهان أن معرفة سياق القرآن عنصر من عناصر قانون عام يُرجع إليه في التفسير، إذ يقول: «ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم»[1].

ومعنى هذا أن دلالة السياق واحدة من جملة دلالات تراعى وتوظف في العملية التفسيرية، وأن لها مرتبتها بين تلك الدلالات المختلفة، هذه الدلالة توظف في اتجاهين أو مجالين هما: البيان والترجيح.

غير أن الزركشي يولي السياق عناية فائقة لما جعل «محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز»[2].

هذه العناية ترتفع بدلالة السياق لأن تكون الأهم من حيث مراعاتها من بين الدلالات الأخرى في العملية التفسيرية، بل إنه يلتقي ويتفق مع الزمخشري في نظرته لدلالة السياق من حيث أنه «يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح»[3].

ثم إن الزركشي وبعد أن تكلم عن أمهات مآخذ التفسير وأنها أربعة وهي:

1-النقل عن الرسول ﷺ 2-الأخذ بقول الصحابي 3-الأخذ بمطلق اللغة 4-التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع[4].

وبعد أن لخص ذلك كله في أن القرآن من حيث التفسير قسمان:

الأول: ورد تفسيره بالنقل عمّن يُعتبُر تفسيره.

الثاني: لم يرد تفسيره.

يقول في القسم الثاني «وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب

---

(1)-الزركشي، البرهان، 15/1.

(2)-المصدر نفسه، 317/1.

(3)-المصدر نفسه، 317/1.

(4)-المصدر نفسه، 156/2-172.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومدلولاتها بحسب السياق»[1].

ومعنى هذا أن توظيف السياق هو من نوع الاجتهاد في التفسير، أو من قبيل التفسير بالرأي.

وهذا الذي نص عليه محمد عبد العظيم الزرقاني في المناهل عند حديثه عن منهج المفسرين بالرأي والذي يقوم على اتباع خطوتين أساسيتين هما:

الأولى: طلب المعنى من القرآن، أو السنة، أو قول الصحابي.

الثانية: في غياب المعنى من القرآن أو السنة، أو مأثورات الصحابة لا بد من الاجتهاد بإتباع جملة من الإجراءات منها: مراعاة المقصود من سياق الكلام، والذي يكون بعد البدء بالألفاظ المفردة ثم التراكيب ثم تقديم المعنى الحقيقي على المجازي ثم ملاحظة أسباب النزول، ثم مراعاة التناسب بين السابق واللاحق[2].

وهذا الترتيب لا يعني بالضرورة تأخر توظيف السياق، وإنما هو من باب الترتيب الاصطلاحي.

أما من حيث ما يجب البدء به في عملية التفسير فإن توظيف السياق يكون متقدما لتعلقه بالألفاظ من حيث الإفراد والتراكيب في الاستعمال اللغوي؛ إذ أن أول ما يجب على المفسر في نظر الزركشي البدء به هو العلوم اللفظية، ويكون النظر في التفسير بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها من وجوه ذكرها تعود إلى مراعاة السياق فيها، والذي يدل على معانيها حالتي الإفراد والتركيب[3] «فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته من اشتراك وحقيقة ومجاز وصريح وكناية وبديع وصل ووقف إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق، يجب حمل الكلام على جميعها»[4]. وهذه قاعدة عامة في مراعاة السياق عند حمل الألفاظ أو التراكيب على المحامل التي يسمح بها التركيب بضابط عدم مخالفة المعنى المقصود من السياق.

ويرى ابن تيمية وهو يتحدث عن الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال أن الخطأ واقع فيه من جهتين:

الأولى: اعتقاد المعاني سلفا ثم حمل ألفاظ القرآن عليها، دون نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من

---

[1]-الزركشي، البرهان، 172/2.

[2]-الزرقاني، المناهل 50/2.

[3]-الزركشي، البرهان، 173/2-174.

[4]-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 97/1.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدلالة والبيان.

والثانية: تفسير القرآن بمجرد ما يسوغ في مراد المتكلم باللغة العربية دون النظر إلى المتكلم بالقرآن والمترل عليه والمخاطب به، وهذا رعاية للفظ وما يراد به عند العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام[1].

فعدم مراعاة حال المُخَاطِب وحال المَخَاطَب وحال المترل عليه الخطاب –وكل هذا من عناصر السياق المكونة له– بمعنى عدم مراعاة سياق الكلام يُوقع في الانحراف في التفسير؛ إذ أن السياق ضابط مهم في فهم المعنى المراد ومقصود المتكلم بالقرآن، وعدم مراعاة هذا الضابط سبب للوقوع في الخطأ في التفسير كما يفهم من كلام ابن تيمية.

والأمر نفسه الذي نص عليه يوسف القرضاوي بقوله: «ومن الضوابط المهمة في حسن فهم القرآن وصحة تفسيره مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية. فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه ولا تقطع عما قبلها وما بعدها ثم تجر جرًا لتفيد معنى، أو تؤيد حكمًا يقصده قاصد»[2]. ويقول –مقررا لقاعدة عامة للترجيح لا بد من مراعاتها عند التعارض–: «ولا عبرة بما يروى من أسباب الترول إذا كان ينبو عنها السباق والسياق، كما لا عبرة بالآراء التي يقولها بعض المفسرين إذا كان السياق لا يؤيدها»[3].

والأمر نفسه يفهم من كلام محمد حسين الذهبي، وهو يعالج موقف بعض طوائف المسلمين الذين انحرفوا بالتفسير بحثا عن مستند في القرآن يكون شاهدا لهم ولو أدى الأمر بهم إلى جعل ما وجوده مخالفا لمذهبهم موافقا له «ولو أدى ذلك إلى الخروج بالنص القرآني عن معناه الذي سيق من أجله»[4].

وكذلك الأمر عند محمد الأنور البلتاجي الذي وصف طائفة من المسلمين انحرفت في التفسير بأنهم: «لا يتورعون عن الانحراف بالتأويل عن النهج القويم لفهم كتاب الله تعالى بما ينبو عن سياق السورة، خدمة لمذهبهم وتركيزا لعقيدتهم»[5].

ولعلّ تفسير الظلال لسيد قطب نموذج عن التفسير المتحرر من كل نزعة طائفية أو مذهبية أو

---

(1)–ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط:1، 1422هـ–2001م، ص:46-47.

(2)–يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، بيروت–لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421هـ–2001م، ص:274.

(3)–المصدر نفسه، ص:274.

(4)–محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 3/ 7.

(5)–المصدر نفسه، 3/ 7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكرية مسبقة، ذلك أنه وُفِّقَ كثيرا إلى إبراز الوحدة الموضوعية لكل سورة من سور القرآن الكريم، ما سهل بعد ذلك الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر من موضوعات السورة الواحدة، لكن ضمن الموضوع الواحد للسورة والمرتبط عنده في الأساس الأول بالجانب الفكري العقدي في بناء الإنسان وارتباط السلوك والتصرفات العملية بهذا الجانب[1].

وتفسير الظلال يصنف في نطاق التفسير البياني أو المنهج الأدبي البياني بوجه عام، إلا أنَّ صاحبه لم يكتف بالتعامل مع مدلولات النصوص القرآنية، البيانية واللغوية فحسب، بل تعامل مع النصوص بالحياة في جوّها التاريخي الحركي، وفي واقعيتها الإيجابية، وتعاملها مع الواقع الحي من حيث زمن النزول وما يدل عليه الواقع التاريخي ، ومن حيث الإيحاءات الدائمة والفاعلية المستمرة بعد زمن النزول المشابهة لما كان عليه الواقع أيام النزول[2].

وهذا يعني معايشة الملابسات والأحوال المتصلة بالزمان والمكان وأحوال المخاطبين أيام النزول، ومعايشة ما يشبه تلك الملابسات والأحوال المتصلة بالزمان والمكان وأحوال المخاطبين بعد أيام النزول.

يقول سيد قطب في مقدمته لسورة الأنعام:

«والحياة في جو القرآن لا تعني مدارسة القرآن، وقراءته والإطلاع على علومه... إن هذا ليس "جو القرآن" الذي نعنيه، إن الذي نعنيه بالحياة في جو القرآن: هو أن يعيش الإنسان في جو، وفي ظروف، وفي حركة، وفي معاناة، وفي صراع، وفي اهتمامات... كالتي يتنزل فيها هذا القرآن... هذا هو الجو القرآني الذي يمكن أن يعيش فيه الإنسان، فيتذوق هذا القرآن... فهو في مثل هذا الجو نزل، وفي مثل هذا الخضم عمل... والذين لا يعيشون في مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا في مدارسته وقراءته والإطلاع على علومه»[3].

وسيد قطب بهذا تجاوز عصر الخلاف المذهبي الذي دفع بالمفسرين إلى التعامل مع النصوص القرآنية بتسبيق المقررات الفكرية أو المذهبية أو الطائفية قبل العملية التفسيرية، بل عمد إلى تسييق النصوص القرآنية، وهذه ميزته التي «ما كان لها أن تكون لو أن سيد قطب أهمل السياق أو هدم نظم القرآن، وهو الأمر الذي وقع فيه أرباب المذاهب والمقررات المسبقة، بل إن التشنيع عليه من قبل هؤلاء ربما كان يتناسب طردا مع مدى نجاحه في هذا المنهج الذي أعلى من شأن السياق وجلّى النظم القرآني

---

[1]-عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص:432-433.
[2]-سيد قطب، في ظلال القرآن، 1429/3-1469.
[3]-المصدر نفسه، 1016/2-1017.

ووحدة النص»[1].

هذا وإن من المقررات عند علماء التفسير وعلماء القرآن أن أحسن طرق التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة؛ إذ هي الشارحة الموضحة للقرآن، ثم بأقوال الصحابة، إذ هم أدرى بالتفسير لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم، ثم الرجوع إلى النظر والاستنباط بالشروط المقررة[2].

والسياق –كما تقدم– يكون توظيفه حال النظر والاستنباط والاجتهاد في التفسير.

غير أنه يدخل كذلك حال تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة، أو تفسيرات الصحابة؛ أي أن السياق له ارتباط وثيق بالتفسير النقلي (التفسير بالمأثور).

أولا–«أما تفسير القرآن بالقرآن فهو أولى وأهم خطوات المنهج في تفسير القرآن الكريم؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضا، سواء أكان ذلك في السياق الواحد، أو في السياق المتعدد أو القرآن بجملته»[3].

ومثال ذلك:

1–قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[العاديات:7] فالضمير في: ﴿إِنَّهُ﴾ يحتمل الرجوع إلى الله ﷻ إذ هو أقرب مذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[العاديات:6]، إلا أن هذا الاحتمال مستبعد لأن الضمير يعود على الإنسان بدليل قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:8] فإن هذه الصفة خاصة بالإنسان بلا ريب[4].

2–قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:229] فبيان قوله تعالى: ﴿مَرَّتَانِ﴾ –الذي يدل على حصر الطلاق في المرتين– لا يكون إلا من خلال قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:230]، والتي تبين أن المحصور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]–عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص:437.

[2]–الزركشي، البرهان، 2/175-176.

[3]–عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه، ص:338.

[4]–محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تخريج: محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط:2، 2003م–1424هـ، 11/1.

في المرتين خصوص الطلاق الذي معه حق الرجعة[1].

3-قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82] فالظلم في الآية معناه الشرك أو الكفر، والذي يدل على ذلك ورود هذه المفردة في سياقات قرآنية متعددة من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13] ومثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:254] ومثل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:106].

هذا ولا يعني تفسير القرآن بالقرآن فقط جمع ما تكرر في القرآن من آيات ومقابلة بعضها ببعض لبيان: الإيجاز والإطناب أو الإجمال والتبيين أو الإطلاق والتقييد أو العموم والخصوص أو بيان ما يتوهم أنه مختلف، أو حمل بعض القراءات على غيرها...[2].

فهذه المذكورات لا يمكن تحقق حمل بعضها على بعض إذا لم يراعى في ذلك توظيف دلالة السياق؛ إذ أنها «ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة»[3].

إضافة إلى هذا فإن حمل نص قرآني على نص قرآني آخر لإفادة شيء من المذكورات السابقة، لا يتأتى دون فهم النص القرآني أولا؛ أي دون فهم النص القرآني الأول والنص القرآني الثاني قبل حمل أحدهما على الآخر، وخير ما يعين على فهم النص، دلالة السياق.

**ثانيا-وأما تفسير القرآن بالسنة**، فهو تفسير القرآن بالمنقول عن النبي ﷺ نقلا صحيحا.

1- إن من تفسيره صلى الله عليه وسلم تفسير القرآن بالقرآن. وهذا النوع من التفسير وقع فيه توظيف السياق، سواء كان توظيفا للسياق الواحد في النص القرآني الواحد، أم للسياق المتعدد في نصوص أخرى من القرآن.

ومثال الأول: ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مُبَشِّر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها. قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

---

(1)- المصدر السابق، 12/1.

(2)-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/37-41.

(3)-الزركشي، البرهان، 200/2.

[مريم:71] فقال النبي ﷺ: قد قال الله عزوجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:71].»[1]

ومثال الثاني: تفسير النبي ﷺ للظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:82] بأنه الشرك؛ فإنه صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ هذا المعنى للظلم بنقل المفردة من سياقها في آية الأنعام ووضعها في سياق آخر، والذي دل على معناها، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13].

2- إن من تفسيراته صلى الله عليه وسلم ما يدل أنه حمل بعض الآيات على ما يناسبها من المقام حتى و لو كان المعنى المحمول عليه ليس هو المعنى المسوقة إليه، إلا أنه عليه السلام حمل الآية على معنى صالحا في المقام الذي كان فيه؛ أي أنه صلى الله عليه و سلم انتقل بالآية من معنى يدل عليه سياقها الواردة فيه إلي معنى ثان يناسب سياقا آخر متصلا بالحال أو المقام الذي هو فيه و لا يعارض السياق الأول، بمعنى أنه صلى الله عليه و سلم -و على اصطلاح اللغويين المحدثين- قام بتسييق الآية في سياق ثان غير سياقها الأول.

مثاله ما رواه أبو سعيد ابن المعلى[2] قال: كنت أصلي فمَرَّ بي رسول الله ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: ما منعك أن تأتي ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:24] ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج، فذهب رسول الله ﷺ فذكرت له... الحديث[3]

قال ابن عاشور: « فلا شك أن المعنى المسوقة فيه الآية هو الاستجابة بمعنى الامتثال كقوله تعالى:﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: 172] و أن المراد من الدعوة الهداية كقوله:﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[آل عمران:104] و قد تعلق فعل: دعاكم بقوله: لما يحييكم؛ أي لما فيه صلاحكم. غير أن لفظ: الاستجابة لما كان صالحا للحمل على المعنى الحقيقي أيضا و هو إجابة النداء حمل النبي ﷺ الآية على ذلك في المقام الصالح له بقطع النظر عن المتعلق و هو قوله لما يحييكم»[4]

---

[1]- مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، 131/1.

[2]-أبو سعيد بن المعلى الأنصاري: اختلف في اسمه، وأصح ما قيل في اسمه: الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري. أخرج له البخاري من رواية حفص بن عاصم عنه. توفي سنة: 74هـ وقيل سنة: 73هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة،88/4. ابن عبد البر، الإستيعاب، 233/4-234.

[3]- البخاري، كتاب تفسير القرآن، 199/5.

[4]-محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير و التنوير، 95/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و مثاله أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لأم كلثوم بنت عقبة بن معيط حين جاءت مسلمة مهاجرة إلى المدينة و أبت أن ترجع إلى المشركين فقرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم:19] فاستعمله في معنى مجازي هو غير المعنى الحقيقي الذي سيق له[1]

ثالثا–وفيما يخص تفسيرات الصحابة ﷺ فالعلة التي أوردها ابن تيمية و الزركشي والسيوطي في الأخذ بتفاسيرهم هو ما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله[2]؛ أي أنهم وقفوا على الملابسات والأحوال التي رافقت نزوله التي تعني أسباب النزول، حتى أن الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ كان يقول: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»[3]

والمعنى أنهم وقفوا على الأحوال والملابسات المرافقة لنزول القرآن والتي ساعدتهم في فهم المقال المتصل بالمقام المستند إلى ملابسات و أحوال النزول، ولعله الفهم الذي أراده علي ﷺ بقوله: «ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل»[4].

مثال ذلك:

1–أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة:198]».[5]

2–أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون: الحمس، وكانت سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:199]»[6].

و المعنى من كل هذا أن تفسير الصحابة المبني على النظر إلى الملابسات والأحوال المرافقة للنزول يمكن أن يقال فيه أنه يستند –وكما تقدم الاصطلاح عليه–إلى مراعاة سياق النزول.

---

[1]–المصدر السابق، 95/1.

[2]–ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 59، الزركشي، البرهان، 176/2، السيوطي، الإتقان، 434/2.

[3]–ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت–لبنان، دار الفكر، (د.ط)، 1405هـ–1984م، 36/1.

[4]–البخاري، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، 84/4.

[5]– البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ 186/8.

[6]–البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ 158/5. مسلم، كتاب الحج، باب: الوقوف، 170/1–171.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**قاعدة**: «قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه.»[1]

و الذي يفهم من هذه القاعدة أنه إذا صح التفسير عن الصحابي فإنه يتوقف عند تفسيره وإن كان ظاهر السياق يخالفه؛ أي أنه يوجد تعارض بين تفسير الصحابي و المعنى الذي يدل عليه السياق.

هذا التعارض يُدفع بترجيح تفسير الصحابي؛ ذلك أن «الصحابة أعلم من غيرهم بمعاني القرآن لأنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه والأحوال التي نزل فيها، كما صحبوا النبي ﷺ وأخذوا عنه، إضافة إلى أنهم أهل اللسان والفصاحة وغير ذلك...»[2]

ولعل هذه القاعدة تُعَارَضُ بقاعدة: «لا عبرة بما يروى من أسباب النزول إذا كان ينبو عنها السباق والسياق،كما لا عبرة بالآراء التي يقولها بعض المفسرين إذا كان السياق لا يؤيدها.»[3]

وهذه القاعدة ترجح دلالة السياق على المروي عن الصحابة من تفسير يستند إلى أسباب النزول.

غير أنه إذا تم الجمع بين المُتَعَارِضَيْنِ –وهنا التعارض بين دلالة السياق والمروي من أسباب النزول– لا يذهب إلى ترجيح أحدهما على الآخر وفق إحدى القاعدتين السابقتين. وذلك بالقول بتسييق الآية القرآنية؛ أي الانتقال بها من سياق نزولها إلى سياق ثان متصل بأحوال وملابسات مشابهة للتي كانت وقت النزول الأول.

مثال ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الأحقاف:10] فقد وقع الخلاف بين المفسرين في المراد بالشاهد في الآية. قال ابن جرير في تفسيره بعد أن ساق الخلاف: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾[الأحقاف:10] في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش واحتجاجا عليهم لنبيه ﷺ وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجري لأهل الكتاب ولا اليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم بمعنى»[4] فهو بهذا يعتمد المعنى الذي دل عليه السياق وأنه الصواب.

---

(1)–خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، 186/1.

(2)–المصدر نفسه، 186/1.

(3)–يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص:274.

(4)–ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12/9.

إلا أنه يعود ليقرر المعنى الذي عليه أكثر المفسرين على أساس ما ورد من منقول -دون تصويب لهذا المعنى- فيقول: «غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام، وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل وما أريد به.»[1]

واستنادا إلى أحوال المخاطبين بالقرآن من المشركين في العهد المكي من أنهم «كانت له[م] مخالطة مع بعض اليهود في مكة ولهم صلة بكثير منهم في التجارة بالمدينة وخيبر، فلما ظهرت دعوة النبي ﷺ كانوا يسألون مَنْ لقوه من اليهود عن أمر الأديان والرسل فكان اليهود لا محالة يخبرون المشركين ببعض الأخبار عن رسالة موسى وكتابه وكيف أظهره الله على فرعون. فاليهود وإن كانوا لا يقرون برسالة محمد ﷺ فهم يتحدثون عن رسالة موسى عليه السلام بما هو مماثل لحال النبي ﷺ مع قومه وفيه مايكفي لدفع إنكارهم رسالته.»[2] وأن آية ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾[الأحقاف:10] نزلت في سياق الحجاج على المشركين[3] يذهب ابن عاشور في تفسيره إلى أن المراد بالشاهد «شاهد غير معين؛ أي أيُّ شاهد؛ لأن الكلام إنباء لهم بما كانوا يتساءلون به مع اليهود... فالخطاب في قوله: «أَرَأَيْتُمْ»وما بعده موجه إلى المشركين من أهل مكة.»[4]

ولدفع التعارض بين المعنى الذي دل عليه السياق والمعنى المروي عن الصحابة، وتجنبا للترجيح بواحد من القاعدتين السابقتين المتعارضتين، وطلبا للجمع بين المعنيين، يمكن أن يقال فيه:

1-دل السياق الذي نزلت فيه الآية على أن المراد بالشاهد ليس الصحابي عبد الله بن سلام رضي الله عنه . يؤيد هذا أن السورة مكية، والآية مكية أيضا في معرض التوبيخ للمشركين والحجاج عليهم.

2-القول المروي عن الصحابة المتعارض مع ما دل عليه السياق يحمل على اعتبار منهم لسياق ثان متصل بالمقام الذي كانوا فيه والمشابه لما كان عليه الحال عند نزول الآية بمكة، وهو مقام الحجاج على المخالفين.

3-يؤيد ما سبق القول بتعدد النزول؛ أي أن الآية نزلت مرتين، الأولى بمكة والخطاب موجه للمشركين و لم تعني بالشاهد شخصا محددا، والثانية بالمدينة والخطاب موجه لليهود وعنت بالشاهد عبد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-المصدر السابق، 12/9.

(2)-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 19/26.

(3)-المصدر نفسه، 18/26.

(4)-المصدر نفسه ، 20/26.

الله بن سلام، والصحابة وقفوا على الترول الثاني وأخبروا بما عاينوه.

ومن هنا يمكن القول أن مراعاة السياق في التفسير أمر درج عليه الأولون من الصحابة حيث كانوا يراعون السياق الذي نزلت فيه الآيات المتصل بالملابسات والأحوال المرافقة للترول؛ أي سياق الترول.

## المطلب الثالث: نماذج من اهتمام المفسرين والدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني

### الفرع الأول: نماذج من اهتمام المفسرين بتوظيف السياق القرآني

**النموذج الأول: ابن جرير الطبري في تفسيره: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".**

1-قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[البقرة:205].

بعد أن ذكر الاختلاف بين أهل التأويل في معنى الإفساد الذي أضافه الله ﷻ إلى المنافق المذكور في الآية السابقة، وأن المقصود به عندهم قطع الطريق وإخافة السبيل وهذا القول الأول، أو قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، وهذا القول الثاني. ذهب إلى تعميم المعنى بالقول «أن الله تبارك وتعالى وصف هذا المنافق بأنه إذا تولى مدبرا عن رسول الله ﷺ عمل في أرض الله بالفساد، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض، وجائز أن يكون ذلك الإفساد منه كان بمعنى قطع الطريق، وجائز أن يكون ذلك غير ذلك، وأي ذلك كان منه فقد كان إفسادا في الأرض؛ لأن ذلك منه لله ﷻ معصية.»[1]

ثم يعود الطبري ويرجح المعنى الذي في القول الأول، معتمدا في ذلك على ما دل عليه سياق الآية المتصل بوصف المنافق فيقول: «غير أن الأشبه بظاهر التتريل أن يكون كان يقطع الطريق ويخيف السبيل؛ لأن الله تعالى ذكره وصفه في سياق الآية بأنه سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، وذلك بفعل مخيف السبيل أشبه منه بفعل قطاع الرحم.»[2]

2-قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:73].

---

(1)-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:2، 1373هـ-1954م، 317/2.

(2)-المصدر نفسه، 317/2.

أورد الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أقوالا عديدة لم يلتفت منها إلا لقول واحد رآه ملتئما مع سياق النص ومستقيما على معنى كلام العرب، وهو أن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترض به، وسائر الكلام متسق على سياق واحد فيكون تأويله حينئذ:

**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، بمعنى: لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى: أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بإيمانكم لأنكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم. فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التي قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾**[آل عمران:72] **سوى قوله﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم في قولهم: قل يامحمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التي وصفت لك قولها لتُبَّاعها من اليهود: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾: إن التوفيق توفيق الله والبيان بيانه، وإن الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود.**[1]

فالطبري لاحظ المعنى من خلال سياق النص الذي يشمل هذه الآية والآية التي قبلها، والمتصل بمقام الإخبار بمقولات الطائفة المعاندة من اليهود، وأن قوله تعالى:﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾جاء كلاما اعتراضيا لدحض مقولاتهم؛ لأن السياق يقتضي أن يكون كلاما اعتراضيا، ولهذا قال الطبري: «وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها؛ لأنه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه، وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة، على استكراه شديد الكلام.»[2]

3-قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء:5].

بعد أن ساق الطبري اختلاف المفسرين في معنى السفهاء قال: «والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا: أن الله جلّ ثناؤه عمَّ بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ فلم يخصص سفيها دون سفيه، فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى. والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله، وفساده وإفساده، وسوء تدبيره ذلك.»[3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 315/3.

(2)-المصدر نفسه، 315/3.

(3)-المصدر نفسه، 247/4.

والاعتبار الذي وضعه الطبري في ذهابه إلى هذا القول هو ملاحظته لسياق النص القرآني الذي يمتد إلى الآية الموالية وقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[النساء:6] التي تأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم، إذا بلغوا النكاح، وأونس منهم الرشد، وقد يدخل في اليتامى الذكور والإناث، فلم يخصص بالأمر بدفع ما لهم من الأموال الذكور دون الإناث، ولا الإناث دون الذكور، وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم إليهم وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم، فإذا كان ذلك كذلك فبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر، والمستوجبون أن يولي عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل، وأن من عدا ذلك فغير سفيه؛ لأن الحجر لا يستحقه من بلغ وأونس رشده.[1]

ثم إن الطبري رد على الذين حصروا معنى السفهاء في النساء، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء:5]. موظفا في ذلك دلالة صرفية متصلة بصيغة الجمع في كلمة (السفهاء) التي تفيد جمع الذكور، أو جمع الذكور والإناث، حيث استشهد بأن «العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء، إلا في جمع الذكور، أو الذكور والإناث، وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم، جمعوه على فعائل وفعيلات، مثل غريبة تجمع على غرائب وغريبات، فأما الغرباء فجمع غريب.»[2]

4-قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة:120].

اختلف المفسرون في هذه الآية، هل هي محكمة وأنها كانت لرسول الله ﷺ خاصة، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافه، فيقعد عنه إلا من كان ذا عذر، وأن الآية للأولين والآخرين من المجاهدين.أو أنها منسوخة وأنها كانت في أهل الإسلام قلة، ثم نسخت، وأبيح التخلف لمن شاء.[3]

والذي ذهب إليه الطبري أن الآية مرتبطة بمن عناهم الله تعالى في قوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

[1]-المصدر السابق، 4/247-248.

[2]-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 4/248.

[3]-المصدر نفسه، 11/64-65.

اليومَ﴾[التوبة:90][1] وهذا يعني أن الآية مرتبطة بأسباب نزول هذه الآية الأخيرة، والمتصلة بأحداث غزوة تبوك، فهو يوظف بهذا سياق النزول المتصل بالملابسات والأحوال التي رافقت نزول هذه الآية المتعلقة بالغزوة.

وعلى هذا فهو يذهب إلى أنها غير منسوخة، وأن معناها: **ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.وذلك أن رسول الله ﷺ كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه إلى الشخوص إلا من أذن له، أو أمره بالمقام بعده، فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف، فعدد جلّ ثناؤه من تخلف منهم، فأظهر نفاق من كان تخلفهم منهم نفاقا، وعذر من كان تخلفه لعذر، وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه الفعل. فأما التخلي عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا إذا لم يكن عن كراهته منه ﷺ ذلك.**[2]

النموذج الثاني: القرطبي في تفسيره: "الجامع لأحكام القرآن".

قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

ذكر القرطبي أن المراد بأهل البيت في الآية: نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم،كما يراد بهم أهله الذين هم أهل بيته. وحجته في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:34] «هذه الألفاظ تعطي أن أهل البيت نساؤه. و قد اختلف أهل العلم في أهل البيت، من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصّةً، لا رجل معهن. وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبيّ ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾.»[3]

في رده على من زعم أن الآية في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ خاصة، محتجين بقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان للنساء خاصة لكان «عنكنّ ويطهركنّ»، ذهب إلى «أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول: الرجل لصاحبه: كيف

[1]-المصدر السابق، 65/11.

[2]-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 65/11.

[3]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1408هـ-1988م، 119/14.

أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك. فيقول: هم بخير. قال الله تعالى: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[هود:73].»[1] أي أنه خرج مخرج تغليب الذكور على الإناث إذا كانوا معهم وإن كانوا قليلا.

ويخلص في النهاية إلى أن «الذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَلِيًّا وحَسَناً وحُسَيْناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلّب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهنّ، والمخاطبة لهنّ، يدلّ عليه سياق الكلام. والله أعلم. فالآيات كلها من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾[الأحزاب:28] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:34] منسوق بعضها على بعض، فكيف صار في الوسط كلاماً منفصلاً لغيرهن؟! »[2]

وأما ما يروى من أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية دعا عليًّا وفاطمة والحسن والحسين، فعمَد صلى الله عليه وسلم إلى كساء فلفّها عليهم، وأن هذه المرويات تدل على أن الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم خاصة، وأن زوجاته صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته، فالطبري يلتفت إلى أسباب النزول وأن ما وقع من دعوة لعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم كان بعد نزول الآية، وإنما أحب النبي ﷺ أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج[3] فيعلم أنهم من أهل بيته لا أنهم أهل بيته دون زوجاته.

**النموذج الثالث: محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".**

1-قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:228].

فبعد أن أورد الاختلاف الوارد في معنى ﴿قُرُوٓءٍ﴾ المذكورة في الآية، وبعد أن رجح أنها الأطهار، مستدلا بأدلة من القرآن والسنة واللسان العربي، يذهب إلى تأييد ما ذهب إليه بتوظيفه لدلالة صوتية

[1]-المصدر السابق، 119/4.

[2]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 119/4.

[3]-المصدر نفسه، 119/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

متمثلة في صوت "التاء" الزائد في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فيقول: «وتؤيده قرينة زيادة التاء في قوله: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[البقرة:228] لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار؛ لأنها مذكرة والحيضات مؤنثة.»[1]

فالشنقيطي التفت إلى دلالة الصوت الزائد، أو بتعبير آخر: التفت إلى توظيف دلالة الوحدة الصوتية الداخلة على الوحدة القرآنية المجاورة ﴿ثَلَاثَةَ﴾ و التي أثرت في الوحدة القرآنية ﴿قُرُوءٍ﴾ ما أعطاها معنى الأطهار، وفرقت بين معناها هذا و رجحته على المعنى الثاني وهو الحيضات.

2-قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

ففي تعيين ما المقصود بأهل البيت، أو هل زوجات النبي ﷺ داخلات في مسمى أهل البيت؟ يذهب الشنقيطي إلى أن المقصود بأهل البيت في الآية هم زوجات النبي ﷺ وأنهن داخلات في مسمى أهل البيت. والمعتمد في ذلك السياق الصريح في دخولهن، باعتبار أن الخطاب في الآية متجه إليهن وكذا في ما سبق هذه الآية من آيات وما لحق بها، ما يشكل نصا واحدا متماسكا في المعنى الذي يدل عليه سياقه الواحد والمتصل بخطاب زوجات النبي ﷺ بجملة من الأوامر والنواهي، فيقول الشنقيطي مسقطا اعتبار الأقوال المعارضة لما أقره من معنى: «فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن لأن الله تعالى قال: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾[الأحزاب:28] ثم قال في نفس خطابه لهن:﴿ ...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[الأحزاب:33] ثم قال بعده: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب:34]... والتحقيق أنهن داخلات في الآية وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت...ونظير ذلك من دخول الزوجات في اسم أهل البيت قوله تعالى في زوجة إبراهيم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود:73]»[2]

3-قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء:30].

اختلف العلماء في المراد بالرتق والفتق على أقوال ذكرها الشنقيطي، ثم رجح القول الذي يذهب إلى أن المعنى هو «أن السماء كانت لا يترل منها مطر، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات»[3]

---

[1]-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 123/1.

[2]-المصدر نفسه، 378/6.

[3]-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت-لبنان، عالم الكتب، (د.ط)،(د.ت)، 563/4.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومرجع هذا الترجيح هو اعتبار السياق الذي وردت فيه الكلمتان، والذي لاحظ فيه أمران:

أ-معنى الرؤية التي في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأنها الرؤية البصرية، وهذه دلالة لغوية اعتبرها الشنقيطي في إيضاح المعنى في هذا الجزء من الآية؛ «لأن الأظهر ... أنها بصرية، والذي يرونه بأبصارهم هو أن السماء تكون لا يترل منها مطر، والأرض ميتة هامدة لا نبات فيها، فيشاهدون بأبصارهم إنزال الله المطر، وإنباته به أنواع النبات.»[1]

وفي قوله هذا اعتبار لحال المخاطبين أيام الترول، من أنهم أمام هذا الخطاب لا يعقلون منه إلا ما يشاهدونه بأبصارهم لا ببصيرتهم؛ إذ حالهم يمنع من ذلك. وهذا عنصر أساسي من عناصر سياق الحال لا بد من مراعاته في دراسة النصوص القرآنية.

ب-اتصال قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما قبله ما يجعل المعنى متسق ومتماسك، فـ«الظاهر اتصال هذا الكلام بما قبله؛ أي جعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي.»[2]

وهذا الأمر الثاني سبق إليه الفخر الرازي في تفسيره بقوله: «ورجحوا هذا الوجه على سائر الوجوه بقوله بعد ذلك ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم، ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذكرنا.»[3]

4-قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[الحج:55]

اختلف المفسرون في اليوم العقيم المذكور في الآية، هل هو يوم بدر؟ أو هو يوم القيامة؟

والشنقيطي يذهب إلى القول الثاني، وحجته في ذلك «أنه تعالى أتبع ذكر اليوم العقيم بقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[الحج:56]، وذلك يوم القيامة، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي يوم إذ تأتيهم الساعة، أو يأتيهم عذاب عقيم، وكل ذلك يوم القيامة، فظهر أن اليوم العقيم يوم القيامة، وإن كان يوم بدر عقيما على الكفار؛ لأنهم لا خير لهم فيه، وقد

(1)-المصدر السابق، 563/4.

(2)-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 564/4.

(3)-فخر الدين الرازي، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، تحقيق: عماد زكي البارودي، مصر، المكتبة التوفيقية، (د.ط)، (د.ت) 156/22.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أصابهم ما أصابهم.»[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**النموذج الرابع : محمد عبده من خلال ما رواه عنه محمد رشيد رضا في: "تفسيره المنار".**

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:106]

هذه الآية القرآنية من الآيات التي يستدل بها جمهور المفسرين على مسألة وقوع النسخ في القرآن الكريم، ومعظمهم -في حدود المطالعة- اهتموا ببيان معنى كلمتي (ننسخ) و(ننسها) وأغفلوا بيان معنى كلمة (آية) التي في هذه الآية القرآنية.

ولعل مرجع ذلك كما يقول الطبري هو « أن المخاطبين بالآية لما كان مفهوما عندهم معناها اكتفي بدلالة ذكر الآية من ذكر حكمها، وذلك...كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[البقرة:93] بمعنى حب العجل.»[2]

فهل معنى كلمة "آية" في هذه الآية القرآنية مفهوما بحيث أنه واحد مسلم به لا يعارض بمعنى آخر؟ أم هناك ما يعارض به من معان أخرى.

يذهب صاحب تفسير المنار فيما ينقله عن أستاذه محمد عبده إلى خلاف ما ذهب إليه الطبري وغيره من المفسرين، وأن معنى كلمة (آية) هنا ليس الآية القرآنية بل الآية المعجزة. وهذا بتوظيفه لدلالة السياق القرآني في الآية القرآنية والآيتين ما بعدها مراعيا الأحوال والملابسات المتصلة بالخطاب[3] في جملة هذه الآيات التي تشكل وفق السياق نصا واحدا متماسكا في المعنى.

فبعد تقرير ما جرى عليه المفسرون في تفسير هذه الآيات، يقول محمد عبده:

**وإذا وازنا بين سياق آية ﴿مَا نَنسَخْ﴾ وآية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل:101] نجد أن الأولى ختمت بقوله﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و الثانية بقوله﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ ، ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات. فذكر العلم والتتريل ودعوى الافتراء في الآية الثانية يقتضي أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام. وأما ذكر القدرة والتقرير بها**

---

(1)-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 736/5.

(2)-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 480/1.

(3)-مراعاة مقتضى الأحوال و الملابسات المتصلة بالخطاب القرآني، يعني مراعاتها من جهة المُخَاطِبِ أو المُخَاطَبِ أو الخطاب نفسه أو الجميع.

في الآية الأولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها وإنما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة، فلو قال: (ألم تعلم أن الله عليم حكيم) لكان لنا أن نقول إنه أراد نسخ آيات الأحكام لما اقتضته الحكمة من انتهاء الزمن أو الحال التي كانت فيها تلك الأحكام موافقة للمصلحة.[1]

وما يلاحظ في هذه الموازنة أن محمد عبده راع حال المُخَاطِبِ في هذا النص القرآني وهو الله ﷻ من جهة ما تدل عليه صفة القدرة المقررة. وهذا أنتج عنده معنى يراه مستقيما مع دلالة "الآية" المذكورة في هذا النص القرآني.

هذا المعنى دل عليه سياق النص القرآني، و يعتبره هو الصحيح، فيقول: «والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق إلى آخره أن الآية هنا ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم؛ أي ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ نقيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء؛ أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك. ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه.»[2]

ومن رعايته لحال المُخَاطَبِينَ في هذا السياق القرآني يذكر أن الخطاب موجه إلى فئتين هما: فئة اليهود من أهل الكتاب، وفئة المسلمين. وأن النص القرآني في سياق الرد على مزاعم الفئة الأولى والرد على تشكيكهم المتجه إلى الفئة الثانية فـ«قد كان من [ال]يهود من يشكك في رسالته عليه السلام بزعمهم أن النبوة محتكرة لشعب إسرائيل، ولقد تقدمت الآيات في تفنيد زعمهم هذا و قالوا: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾[القصص:48]؛ أي من الآيات، فرد الله تعالى عليهم في مواضع منها قوله عز وجل بعد حكاية قولهم هذا: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[القصص:48] الخ. ومنها هذه الآيات والخطاب فيها للمؤمنين الذين كان اليهود يريدون تشكيكهم.»[3]

فيصبح معنى الآية بهذا «أن قدرة الله تعالى ليست محدودة ولا مقيدة بنوع مخصوص من الآيات أو بآحاد منها لا تتناول غيرها، وليست الحجة محصورة في الآيات السابقة لا تتعداها، بل الله قادر على أن يأتي بخير من الآيات التي أعطاها موسى وبمثلها، فإنه لا يعجز قدرته شيء ولا يخرج عن ملكه شيء...»[4]

---

[1]-محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 416/1.

[2]-المصدر نفسه، 417/1.

[3]-المصدر نفسه، 417/1.

[4]-المصدر نفسه، 417/1.

ولا يكتفي محمد عبده بهذا التقرير بل يمضي مع سياق النص القرآني الذي يشمل كذلك الآية الموالية وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[البقرة:107] والتي وظّف فيها أيضا حال الفئة الأولى المتقدمة الذكر وهي اليهود الذين «لم يكتفوا بما أعطي موسى عليه السلام من الآيات وتجرؤوا على طلب غيرها وقالوا ﴿يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:55]، وكذلك كان فرعون وقومه كلما رأوا آية طلبوا غيرها حتى رأوا تسع آيات بينات و لم يؤمنوا. وقوله تعالى ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ يشمل كل ذلك.»[1]

ثم بين ما يرشد الله تعالى إليه موظفا لتتابع المعاني في سياقها الممتد إلى الآية التي بعد السابقة وأنه تعالى أرشد «إلى أن التفنن في طلب الآيات وعدم الإذعان لما يجيء به النبي منها والاكتفاء به بعد العجز عن معارضته هو دأب المطبوعين على الكفر الجامدين على المعاندة و المجاحدة، فإنه قال بعد إنكار هذا الطلب ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[البقرة:108] ويوضح هذا قوله تعالى في آية أخرى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا﴾[الإسراء:59] والمراد الآيات المقترحة بدليل السياق، وهو اتفاق بين المفسرين. ولو كان الموضوع موضوع طلب استبدال أحكام بأحكام تنسخها لما كان للتوعد بالكفر وجه وجيه...»[2]

**الفرع الثاني: نماذج من اهتمام الدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني**

**النموذج الأول: سامر إسلامبولي من خلال دراسته: "القرآن بين اللغة والواقع".**

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ...﴾[النور:31]

يذهب سامر إسلامبولي إلى أن كلمة (النساء) في الآية ليس جمعا للمرأة بل هي جمعا لكلمة (نسيء)، معتمدا في ذلك على معجم لسان العرب في بيان معنى كلٍّ من: (النسيء) و(النساء)، وعلى التركيب الصرفي لكلٍّ منهما.

وخلاصة ما في اللسان أن (النسيء) يطلق ويراد به التأخير والزيادة، من قول العرب: **نُسئت المرأة تنسأ نسأ. تأخر حيضها عن وقته، وبدأ حملها، فهي نسءٌ، ونسيءٌ، والجمع أنساءٌ، ونسوءٌ، وقد يقال: نساءٌ نسءٌ، على الصفة بالمصدر.**

---

[1]-المصدر السابق، 418/1.

[2]-محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 418/1.

ونسأ الشيء ينسؤه نسأ، وأنسأه: أخره... والاسم النسيئة والنسيء...

وإذا أخرتَ الرجل بدينه قلتَ: أنسأته، فإذا زدت في الأجل زيادة يقع عليها تأخير قلت: قد نسأت في أيامك، ونسأ في أجلك. وكذلك تقول للرجل: نسأ الله في أجلك؛ لأن الأجل مزيد فيه، ولذلك قيل للبن: النسيء لزيادة الماء فيه. وكذلك قيل: نسئت المرأة إذا حبلت، جعلت زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن.

ونسئت المرأة تنسأ نسأ على ما لم يُسَمَّ فاعله، إذا كانت عند أول حبلها، وذلك حين يتأخر حيضها عن وقته، فيرجى أنها حبلى، وهي امرأة نسيء...

يقال: امرأة نسء ونسوءٌ، ونسوة نِساءٌ، إذا تأخر حيضها، ورجي حبلها، فهو من التأخير، وقيل بمعنى الزيادة من نسأت اللبن إذا جعلت فيه الماء تكثره به، والحمل زيادة.[1]

والنتيجة التي استخلصها سامر إسلامبولي هي: أن دلالة (النسيء) تطلق على التأخير والزيادة. فالمرأة الحامل يطلق عليها نسيء لتأخر حيضها ولزيادة الجنين لها. و ربا النسيئة لتأخير الأجل وزيادة المال مقابل التأخير.

فدلالة كلمة (نسء) هي تأخير من جانب، وزيادة من آخر، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[التوبة:37]، فهذه العملية هي تأخير أشهر الحرم عن وقتها، وإضافتها إلى غير وقتها.

وأن صاحب اللسان استخدم كلمة (نساء) جمعا لكلمة (نسيء) وذلك بقوله: امرأة نسء ونسوء، ونسوة نساء، فالمرأة الحامل: نسيء، والنسوة الحوامل: نساء.

وأن عدم شهرة هذا الجمع لما وضع له أصلا، وندرة استخدامه في اللغة المستخدمة اليومية لا ينفي صحة وجوده لغة، ولا يمنع من استخدامه بدلالته الأصلية الحقيقية؛ لأن موت دلالة كلمة في مجتمع ما لا يعني موتها لغة، والنص القرآني قد نزل عربي اللغة، و لم يقيد نفسه بموت وحياة دلالات الكلمات في الثقافة العربية، فالأصل في النص القرآني هو اللغة العربية ودلالتها الحقيقية التي تم ولادة الكلمة لتدل عليها...[2]

وأما استعمال كلمة (نساء) جمعا لكلمة (المرأة) من غير جنس أحرفها، فإن سامر إسلامبولي يرجع مردَّ ذلك إلى ملاحظة الفرق الوظيفي بين الرجل والمرأة عند بدء ميلاد اللغة؛ فوظيفة المرأة في المجتمع

---

(1)-سامر إسلامبولي، القرآن بين اللغة والواقع، دمشق-سوريا، الأوائل للنشر والتوزيع، ط:1، 2005م، ص: 125-126. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، 166/1، 168/1، مادة: نسأ.

(2)-المصدر نفسه، ص: 126-127.

العربي تأتي في الخط الثاني بعد وظيفة الرجل؛ أي تأخرها عن خط وظيفة الرجل. فاستخدمت كلمة (النساء) جمعا للمرأة لتُحَقّقَ بجنسها صفة التأخر عن الخط الأول إلى الخط الثاني في معركة وميدان الحياة الاجتماعية، إضافة إلى قيامها بزيادة وجود الجنس الإنساني من خلال كون كلمة (نسيء) تدل على التأخير والزيادة، وعندما نزل النص القرآني استخدم كلمة (النساء) جمعا لكلمة (المرأة)، وبذلك الاستخدام أعطى مصداقية لما رأى العرب في المرأة من حيث أن دورها الوظيفي والاجتماعي إنما هو في الخط الثاني، الذي هو أساس للخط الأول، والخط الأول أمان وحماية للخط الثاني، بينهما علاقة تكاملية جدلية.[1]

وأما من ناحية التركيب الصرفي فإن كلمة (نسيء) على وزن (فعيل)، وبالذهاب إلى استخدام العرب لهذا الوزن أوضح سامر إسلامبولي أن وزن جمع (فعيل) ليس وزنا واحدا، وإنما مجموعة أوزان متصلة بالمعاني والمقاصد المختلفة بحسب دلالة وحال الكلمة التي تأتي على وزن (فعيل) وهذه هي أهم الأوزان[2]:

-كل كلمة تأتي على وزن (فعيل) تدل على صفة فاعل لمذكر عاقل بمعنى المدح أو الذم تُجمع على وزن (فُعلاء). مثل: عليم-علماء، بخيل-بخلاء...

- كل كلمة تأتي على وزن (فعيل) وهي وصف لفعل وقع على الإنسان بمعنى مفعول به، يأتي جمعها على وزن (فَعْلَى). مثل: قتيل-قتلى، مرض-مرضى...

-كل كلمة تأتي على وزن (فعيل) وعينها (واو) وصحيحة(اللام) تجمع على وزن (فعال) دائما. مثل: طويل-طوال، قويم-قوام...

-الكلمات التي على وزن (فعيل) معتلة اللام، أو مضاعفة، وتدل على صفة الشيء تجمع على وزن (أَفعلاء). مثل: نبي-أنبياء، عزيز-أعزّاء...

-الكلمات التي تأتي على وزن (فعيل) وتدل على صفة، أو حال الشيء، وصحيحة اللام تجمع على وزن (فعال). مثل: قصير-قصار، كبير-كبار...

-كل كلمة تأتي على وزن (فعيل) وتدل على اسم شيء بعينه تجمع على وزن(فُعْلاء). مثل: قميص-قمصان، قضيب-قضبان...

---

[1]-سامر إسلامبولي، القرآن بين اللغة والواقع، ص: 131-132.

[2]-المصدر نفسه، 133-135.

-الكلمات التي على وزن (فعيل) مضاعفة اللام تدل على صفة تجمع على وزن (أفْعلة). مثل: حبيب-أحبة، عزيز-أعزة...

ويخلص سامر إسلامبولي من خلال ما سبق إلى أن كلمة (نسيء) تطلق على الأشياء العاقلة وغير العاقلة، فيقال: امرأة نسيء، ولبن نسيء. وبملاحظة أن هناك فرقا في الاستخدام لكلمة (نسيء) بين العاقل والأشياء؛ إذ الأشياء يقع عليها فعل النسء فتصبح منسوءة، بخلاف المرأة لا يوجد فعل يقع عليها، وإنما صفة حال تُلابس المرأة، سواء كان الحال اجتماعيا، أم وظيفيا من عملية الزيادة من خلال الإنجاب للأولاد، و إكثار المجتمع منهم. وبالتالي لا يمكن أن يقال عن المرأة إنها منسوء؛ لانتفاء وجود الإنساء لها، ولكنها نسيء لتحقق صفة التأخير الاجتماعي بها، ولقيامها بفعل الإنساء للمجتمع من خلال الإنجاب، فالمرأة الحامل هي امرأة نسوء وليست منسوءة.

ومن هنا فكلمة (نسيء) تأتي وصفا لحال الإنسان الذي تلبس بهذه الصفة-صفة التأخر أو الزيادة- وهي صحيحة اللام وعلى وزن (فعيل) فقطعا جمعها يجب أن يكون على وزن (فعال).

وعلى هذا يذهب سامر إسلامبولي إلى أن كلمة (نساء) جمع حقيقي لمفردها (نسيء) من نفس جنس الأحرف.[1]

وعلى هذا الأساس من توظيف المعنى الذي أعطاه التركيب الصرفي لكلمة (نسيء) وعلى اعتبار أن القصد بها التأخير والزيادة، وعلى اعتبار أن المذكورين في الآية كلهم من الذكور، ممن استثناهم الله تعالى، وممن يجوز للمرأة أن تبدي من زينتها أمامهم، فإنه يدخل في معنى قوله تعالى:﴿نِسَائِهِنَّ﴾في الآية السابقة كل الرجال الذين يستجدون متأخرين في علاقاتهم الاجتماعية مع المرأة، وأعطى لهم الشارع من حيث إظهار الزينة أمامهم حكم المحارم؛ إذ الدارس للنص القرآني لا يجد زوج البنت بين المحارم، ولا يجد ذكر زوج الأم، كذلك زوج المرضعة وأولادها، فما حكم إظهار المرأة لزينتها أمام هؤلاء جميعا؟[2]

**النموذج الثاني: أحمد حمد بن سليمان الخليلي في كتابيه: "الحق الدامغ" و "وسقط القناع".**

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23].

هاتين الآيتين مما يستدل به أهل السنة على جواز رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة في الجنة؛ إذ أن

---

[1]-المصدر نفسه، ص: 138-140.

[2]-سامر إسلامبولي، القرآن بين اللغة والواقع، ص: 149-150.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

معنى النظر في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:23] هو الرؤية، كما جاء في تفاسيرهم.[1]

والخليلي من خلال كتابيه المذكورين، يذهب إلى خلاف ذلك، وأن الآية لا دلالة فيها على أن معنى النظر هو الرؤية، وأنها لا تنهض للاستدلال لما ذهب إليه المثبتون لرؤية الله ﷻ يوم القيامة في الجنة.

والذي يهم من رأي الخليلي في هذا البحث هو المعتمد الذي اعتمده في تفسيره للآية المختلف في دلالتها؛ إذ تفسيره للآية قائم على اعتبارين أساسيين هما:

أ-**الانسجام المعهود في آي القرآن وارتباط بعضها مع بعض... فإن الآيات قسمت الناس يومئذ إلى طائفتين، إحداهما: وجوهها ناضرة-أي مبتهجة مشرقة بما ترجوه من ثواب الله- إلى ربها ناظرة أي منتظرة لرحمته ودخول جنته، والأخرى: مباينة لها في أحوالها، فوجوهها باسرة-أي كالحة مكفهرة لما تتوقعه من العذاب-تظن أن يفعل بها فاقرة أي تتوقع أن ينزل بها ما يقطع فقار ظهورها، فنضارة هذه الوجوه مقابل ببسور تلك، وانتظار هذه لرحمة الله ودخول جنته مقابل بتوقع تلك للعذاب، ولو فسر النظر هنا بمعنى الرؤية لتقطع هذا الوصل بين الآيات، وتفكك رباطها، وذهب انسجامها، إذ لا تقابل بين الرؤية وما وصفت به تلك من ظنها أمرا يقطع فقارها، ومثل هذه النكت البلاغية لا تفوت البلغاء في كلامهم منثوره ومنظومه، فما بالكم بكلام الله تعالى الذي هو أدق في التعبير، وأبلغ في التصوير، وأكثر انسجاما وأشد ترابطا من كل كلام، كيف لا وهو كلام الله ﷻ.**[2]

وهذا التقابل الذي أشار إليه الخليلي له مثيله في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[عبس:38-41] وقوله تعالى أيضا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية:2] مقابل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[الغاشية:8].

ب-دليل السياق في الآيات السابقة الذي يُصَوِّرُ الموقف يوم القيامة قبل أن ينتقل الأبرار إلى دار الثواب والفجار إلى دار العقاب. وما يؤكده قوله تعالى في الأشقياء: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[القيامة:25] «فإن ذلك قبل دخول النار قطعا؛ إذ لا معنى لظنهم ذلك بعد الدخول وقد لقوا ما لقوه وحلت بهم الفاقرة التي كانوا يتوقعونها.»[3]

والسياق في الآيات السابقة -بل في السورة كاملة- في معرض تصوير مشاهد من القيامة واقعة قبل

---

(1)-انظر:فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 211/30.

(2)-أحمد حمد الخليلي، الحق الدامغ، (دون ناشر)، ص:43. وسقط القناع، سلطنة عمان، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط:1 1418هـ-1998م، ص:19-20.

(3)-المصدر نفسه، ص:44. وسقط القناع،ص:21.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هذا النوع من السياق يعطي الانسجام للآية المستشهد بها مع باقي الآيات المتصلة بها، بل ويعطيها الانسجام التام مع السورة كاملة في المعنى العام الذي ترتبط به جميع آياتها.

جـ_تسييق كلمة (ناظرة) المتعدية بـــ(إلى) بوضعها في سياق آخر متعدية أيضا بـــ"إلى" يعطيها الدلالة نفسها؛ أي معنى الانتظار ولا يعطيها معنى الرؤية. و ذلك في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:77]«فإنه لو حمل النظر في الآية على الرؤية لأدى إلى أن الله سبحانه لا يرى هؤلاء يوم القيامة وهذا عين المحال، ... ولا وجه لحمل النظر هنا إلا على الرحمة والإحسان، ومن هنا نتبين أن نظر القوي إلى الضعيف هو عطفه ورحمته، وأن نظر الضعيف إلى القوي هو انتظار ذلك منه.»[1]

واحتجاج الخليلي بالسياق وبتسييق كلمة (ناظرة) المتعدية بـــ(إلى) في هذا الموضع وهذا الموضوع الشائك بين طوائف المسلمين، وفي غياب مناقشة هذا الدليل من المفسرين[2] يُضْعِفُ الاستدلال عند طائفة أهل السنة بالآية في الذي ذهبوا إليه، وهذا لا يعني عدم صحة مذهبهم، بل عدم نهوض استدلالهم بالآية.

ولعل هذا الضعف في الاستدلال هو ما جعل مفسرا مثل الطبري يرجح قول أهل السنة بالأثر لا بدلالة الآية خلافا لعادته من توظيف السياق في الترجيح، فيقول: «وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.»[3]ثم ساق حديث ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة، قال: وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين. قال: ثم تلا:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23] قال: بالبياض والصفاء. قال:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:23] قال: تنظر كل يوم في وجه الله عز وجل.»[4]

---

(1)-المصدر السابق، ص:48.

(2)-ناقش علي الفقيهي في كتابه: الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ استدلالات الخليلي المتصلة بالقرآن، ما عدا استدلاله بما تقدم من: الانسجام المعهود في آي القرآن، دليل السياق، تسييق كلمة (ناظرة) المتعدية بـــ(إلى) بوضعها في سياق آخر متعدية أيضا بـــ"إلى". حيث لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد. انظر: علي الفقيهي، الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ، المدينة النبوية، دار المآثر للنشر والتوزيع، ط:2، 1422هـــ_2001م، ص:80_89.

(3)-سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب: سورة القيامة، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روى غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعا، وروى عبد الملك ابن الجبر عن ثوير عن ابن عمر قوله و لم يرفعه...

(4)-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ، 193/14.

قال ابن عاشور: «فدلالة الآية على أن المؤمنين يرون بأبصارهم رؤية متعلقة بذات الله على الإجمال دلالة ظنية لاحتمالها تأويلات تأولها المعتزلة... »[1]

كما تعود ظنية دلالة الآية إلى أن آيات النفي للرؤية «أصرح من آيات الإثبات كقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾[الأعراف:143] وقوله تعالى:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:103] فهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23] على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب... »[2]

جاء في اللسان: «...و تقول[العرب]: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب، ويقول القائل للمؤمَّل يرجوه: إنما ننظر إلى الله ثم إليك؛ أي إنما أتوقع فضل الله ثم فضلك.»[3]

كما يذهب محمد رشيد رضا في مسألة الرؤية إلى «أن الآيات القرآنية فيها ليست نصوص قطعية الدلالة في الإثبات وحده ولا في النفي وحده، وإلا لما وقع الخلاف فيها البتة...فعلم أنها غير قطعية الدلالة بحيث لا تحتمل إلا أحد الوجهين، فهي إذاً ظنية والترجيح فيها بين ما ظاهره الإثبات و ما ظاهره النفي محل الاجتهاد...»[4]

وعلى هذا انتهى إلى أن الرؤية ليست من أصول الدين القطعية وليس من دليل قطعي يجعلها من العقائد المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة.[5]

وإذا كان الأمر على هذه الصورة، وأن الاجتهاد يتسع له، فمن الاجتهاد الجمع بين المتعارضين قبل الترجيح.

و الجمع بين التعارض في فهم الآية محل الاستشهاد يمكن أن يقال فيه أن الآية المستشهد بها لها معنيين باعتبارين اثنين:

**الأول:** معنى الانتظار، وهو المعنى الذي يدل عليه اعتبار السياق المتصل بتصوير مقام ما قبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

**الثاني:** معنى الرؤية، وهذا المعنى يدل عليه اعتبار تسييق الآية؛ أي وضعها في سياق آخر متصل

---

(1)-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 353/30.

(2)-محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، بيروت_لبنان، دار المعرفة، ط:2، (د.ت)، 134/9.

(3)-ابن منظور، لسان العرب، بيروت_لبنان، دار صادر_دار بيروت، (د.ط)، 1388هـ_1968م،215/5. مادة: نظر.

(4)-محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم،9/ 138.

(5)-المصدر نفسه،157/9.

بتصوير مقام متعلق بأحوال أهل الجنة بعد الدخول إلى الجنة.

ولعل الذي يعضد هذا الجمع، حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة مترلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة، قال: وإن أفضلهم مترلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين. قال: ثم تلا:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23] قال: بالبياض والصفاء. قال:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:23] قال: تنظر كل يوم في وجه الله عز وجل.»[1]

والشاهد فيه هو قوله: ثم تلا:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم وضع الآيتين في سياق غير سياقهما الذي في السورة، وهو سياق متعلق بأحوال أهل الجنة بعد دخولهم الجنة.

فالقول بتسييق الآيتين كما تقدم من شأنه الجمع بين التعارض الواقع بين الفريقين، وإلا فالترجيح يتجه إلى اعتبار دلالة السياق وإسقاط الاستدلال الآخر .

(1)-سبق تخريجه، انظر: 141.

## نتائج الفصل الثالث:

أولاً ـ من خلال ما تقدم من علاقة السياق بالدراسات الأصولية يمكن تسجيل النتائج التالية:

1-الإمام الشافعي يعد المؤصل الأول لدلالة السياق في الدراسات الأصولية، وهذا التأصيل هو تأصيل التأسيس.

2-دلالة السياق عند الأصوليين معلومة، اهتموا بها لدرجة أن الزركشي عدها من الأدلة المختلف فيها. وهي عندهم تندرج في مباحث الدلالات؛ أي القسم الذي يتناول طرق استنباط الأحكام من النصوص الشرعية، كما بين ذلك الغزالي في المستصفى.

3-الإمام الشاطبي يعد المؤصل الثاني لدلالة السياق في الدراسات الأصولية، وهذا التأصيل تأصيل التقعيد.

4-أهم القواعد التي وضعها الشاطبي في هذا المجال:

أ-كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار المساق في دلالة الصيغ.

ب-القاعدة في الأصول العربية أن الأصل الاستعمالي إذا عارض الأصل القياسي كان الحكم للاستعمالي.

ت-العموم إنما يعتبر بالاستعمال، ووجوه الاستعمال كثيرة، ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان.

ث-معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المُخَا طِبِ، أو المُخَاطَبِ، أو الجميع.

ج-الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك.

ح-نسبة الوضع الاستعمالي الشرعي إلى مطلق الوضع الاستعمالي العربي كنسبة الوضع في الصناعات الخاصة إلى الوضع الجمهوري.

خ-الوضع الاستعمالي الشرعي إن كان قد جيء به مضمنا في الكلام العربي فله مقاصد تختص به يدل عليها المساق الحكمي. وهذا المساق يختص بمعرفته العارفون بمقاصد الشارع، كما أن الأول يختص بمعرفته العارفون بمقاصد العرب.

د-المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل.

ذ-الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر إلى أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف.

ر-الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار، وتارة يكون متعددا في الاعتبار.

ثانيا-ومن خلال ما تقدم من علاقة السياق القرآني بعلوم القرآن يمكن تسجيل النتائج التالية:

1-السياق القرآني هو ضابط محكم لمعرفة المكي والمدني من القرآن.

2-علاقة السياق القرآني بأسباب النزول هي علاقة التطابق؛ أي أن السياق القرآني في المقام المتصل بالنزول يمثل سياق النزول كما اصطلح عليه سابقا.

3-تمتد علاقة السياق إلى المناسبات؛ إذ يهتم بالكشف عن الروابط التي تتأسس به المناسبة بين النظم القرآني الكريم.

4-الفاصلة القرآنية لا تتمكن من موضعها ومعناها ما لم يمكنها السياق القرآني الواردة فيه.

5-السياق القرآني له علاقة وطيدة بالقصص القرآني تتمثل في:

أ-أنه يكسبه صفتي البرهان والتبيان.

ب-أنه عامل أساسي في اختلاف حكاية القصة القرآنية الواحدة من سورة إلى سورة أخرى من القرآن الكريم، وهذا برعاية ما يناسب حال السامعين أو المخاطبين؛ أي رعاية سياق المقام الذي سيقت له القصة.

ج-أنه عامل أصلي في إيراد القصص القرآني، و الكاشف عن الغاية السامية من إيراده، وضابط مهم لميزاته المتصلة بأسلوبه المباين لأساليب البشر في أعمالهم القصصية.

ثالثا-ومن خلال ما تقدم من علاقة السياق القرآني بالتفسير يمكن تسجيل النتائج التالية:

1-ضرورة الالتفات إلى السياق القرآني بتوظيفه في العملية التفسيرية سواء أكان التفسير بالنقل (تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير الصحابة) أم كان التفسير بالرأي (المبني على العلوم اللغوية بالدرجة الأولى).

2-ضرورة أن يُبَوَّأ السياق القرآني المرتبة التي يستحقها، وهي تفسير القرآن بالقرآن. ولا يعني هذا أنه لا صلة له بالمراتب الأخرى من التفسير النقلي أو الاجتهادي.

3-الالتفات إليه قبل حمل نص قرآني على نص قرآني آخر ليمكن بذلك فهم المَحْمَل المطلوب الذي قد يكون تخصيصا للعام أو تقييدا للمطلق أو تبيينا للمجمل ...

4-الالتفات إليه في فهم تفسيرات النبي ﷺ وتفسيرات الصحابة ﷺ.

5-العملية الاجتهادية في التفسير المبنية على الجوانب اللغوية يجب أن يراعى فيها السياق القرآني.

6-الالتفات إلى تسييق الوحدات القرآنية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة متصلة بمقامات تستند إلى أحوال وملابسات مشابهة للتي في السياق الأول، أو بمقامات تستند إلى أحوال وملابسات مغايرة للتي في السياق الأول لكن دون التعارض معها.

7-لا يوجد تعارض حقيقي بين ما يدل عليه السياق، وبين ما صحَّ عن النبي ﷺ أو عن الصحابة ﷺ من التفسير، فلا يذهب إلى الترجيح ما دام الجمع ممكنا.

**رابعا**-ومن خلال النماذج المقدمة لبيان اهتمام المفسرين والدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني، يمكن تسجيل النتائج التالية:

1-اهتمام المفسرين بتوظيف السياق القرآني في التفسير قديم منذ بدء تدوين هذا العلم، وتفسير الطبري شاهد على ذلك.

2-يغلب توظيف السياق القرآني عند المفسرين في الترجيح بين المعاني التفسيرية؛ أي توظيفه كقرينة ترجيحية.

3-هناك المكثر من توظيف السياق القرآني وهناك المقل في ذلك.

4-يغلب على المفسرين في توظيف السياق القرآني مفهوم الالتفات إلى الكلام السابق أو الكلام اللاحق للمفردة القرآنية أو الآية، واعتبار معناه بربط المفردة القرآنية أو الآية به.

5-توظيف المستويات الدلالية اللغوية المتعددة للسياق القرآني كما تقدم بيانها في الفصل الأول من هذه الدراسة خاصة مستوى الدلالة الصوتية-في حدود المطالعة-مهمل لا أثر له في التفاسير. وإنما الغالب ما سبق ذكره في النتيجة السابقة.

6-توظيف السياق القرآني في التفسير قد يؤدي إلى ما يكون فيه نقض لما هو ثابت عند طوائف المسلمين على اختلاف مذاهبهم من الآراء، مثل ما سبق في آية النسخ، أو آية أهل البيت، أو آية الرؤية. أو يؤدي إلى ما يكون فهما جديدا يخالف ما سبق واستقر من فهم، مثل ما سبق في آية إبداء الزينة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن ما يمكن تسجيله في ختام هذا البحث هو أن السياق القرآني لقي الاهتمام الكبير من قبل الدارسين على اختلاف تخصصاتهم؛ إذ كان بارزا عند اللغويين القدامى والمحدثين، كما برز عند الأصوليين وعند علماء القرآن والمفسرين.

والنتائج المستخلصة يمكن تسجيلها في النقاط الآتية:

1-مفهوم السياق القرآني يمكن التعبير عنه بـ"المجرى الدلالي للنص القرآني، يحدد دلالة الوحدات القرآنية العامة أو الخاصة، باعتبار المستويات الدلالية الداخلية أو الخارجية، والذي يشكل بناء للنص القرآني بناء متماسكا في المعنى من بدئه إلى منتهاه".

فالسياق القرآني يعني تتابع الدلالات وترابطها وتقييد بعضها ببعض لأجل بناء النص القرآني من حيث المعنى، ومن حيث تماسكه في هذا المعنى من بدءه إلى منتهاه.

2-العلاقة بين التفسير والسياق هي علاقة وظيفية؛ أي أن التفسير يوظف السياق كأهم أداة من أدواته، بل إن مفهوم التفسير يتحدد بتوظيفه للمستويات الدلالية المتنوعة للسياق، فلا يعدو بذلك من أن يكون كما عرفته هذه الدراسة من أنه: "علم يبحث فيه عن دلالة الوحدات القرآنية من حيث المستويات الدلالية المختلفة للسياق بقدر توظيف المفسر لها."

3-مفهوم دلالة السياق القرآني في التفسير تتجه إلى العلم بالسياق القرآني نفسه؛ أي بالمجرى الدلالي للنص القرآني، ما يعني العلم بمختلف المستويات الدلالية للنص القرآني، ومن ثم يقع العلم بمدلولات الوحدات القرآنية؛ أي يقع العلم بالتفسير.

فإدراك السياق القرآني طريق لإدراك التفسير إدراكا تاما.

4-اهتمام الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة بالسياق بمختلف مستوياته الدلالية، كذلك اهتمامها بتطبيقاته على النص القرآني.

5-دلالة السياق عند الأصوليين معلومة، ولعلهم أكثر الدارسين اهتماما بالسياق القرآني من خلال التقعيدات التي وضعوها في هذا الشأن، لأجل ضبط توظيفه.

6-للسياق علاقة وثيقة بعلوم القرآن؛ إذ يرتبط بعديد من المباحث القرآنية ويدخل في تحديد المفاهيم المتصلة بموضوعاتها.

7-ضرورة الالتفات إلى السياق القرآني بتوظيفه في العملية التفسيرية سواء أكان التفسير بالنقل (تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير الصحابة) أم كان التفسير بالرأي (المبني

على العلوم اللغوية بالدرجة الأولى).

8-ضرورة أن يُبَوَّأ السياق القرآني المرتبة التي يستحقها، وهي تفسير القرآن بالقرآن. ولا يعني هذا أنه لا صلة له بالمراتب الأخرى من التفسير النقلي أو الاجتهادي.

وهذا يعني الالتفات إليه قبل حمل نص قرآني على نص قرآني آخر ليمكن بذلك فهم المَحْمَل المطلوب الذي قد يكون تخصيصا للعام أو تقييدا للمطلق أو تبيينا للمجمل ...

9_الالتفات إليه في فهم تفسيرات النبي ﷺ وتفسيرات الصحابة ﷺ .مع ضرورة الالتفات إلى أنه لا يوجد تعارض حقيقي بين ما يدل عليه السياق، وبين ما صحَّ عن النبي ﷺ أو عن الصحابة ﷺ من التفسير، فلا يذهب إلى الترجيح ما دام الجمع ممكنا.

وتسييق الوحدات القرآنية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة متصلة بمقامات تستند إلى أحوال وملابسات مشابهة للتي في السياق الأول، أو بمقامات تستند إلى أحوال وملابسات مغايرة للتي في السياق الأول لكن دون التعارض معها وسيلة لذلك الجمع.

10-اهتمام المفسرين بتوظيف السياق القرآني في التفسير قديم منذ بدء تدوين هذا العلم.

غير أن الذي يغلب في توظيف السياق القرآني عندهم هو الترجيح بين المعاني التفسيرية المختلف فيها؛ أي توظيفه كقرينة ترجيحية.

كما يغلب عليهم أيضا في توظيف السياق القرآني مفهوم الالتفات إلى الكلام السابق أو الكلام اللاحق للمفردة القرآنية أو الآية، واعتبار معناه بربط المفردة القرآنية أو الآية به.

11-توظيف السياق القرآني في التفسير قد يؤدي إلى ما يكون فيه نقض لما هو ثابت عند طوائف المسلمين -على اختلاف مذاهبهم- من الآراء التي يذهبون إليها. والقاعدة في ذلك هي أنه "لا عبرة بالآراء التي يقولها بعض المفسرين إذا كان السياق لا يؤيدها."

هذا أهم ما تحقق في هذه الدراسة من نتائج. والذي يمكن التأكيد عليه من توصية هو أن موضوع السياق القرآني يحتاج إلى أكثر من دراسة، كما يحتاج إلى التعمق فيه أكثر بتتبعه في التفاسير التي اهتمت به ووظفته لأجل مسح جميع جوانبه التي لم تتناول، وهذا لأجل إثراء الموضوع و لأجل التقعيد له عند المفسرين أو في علم التفسير.

أخيرا فإن كان ما تقدم في هذه الدراسة صوابا فمن الله وحده، وإن كان خطأ فمن النفس وزلات الفكر والقلم، يغفر ذلك كله إن شاء الله الرحمن الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهـــارس

أولــا- فهرس الآيات
ثانيــا- فهرس الأحاديث
ثالثــا- فهرس الأعلام المترجم لهم
رابعا- فهرس المصادر والمراجع
خامسا- فهرس المواضيع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# أولا- فهرس الآيات

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة البقرة** | | |
| ﴿يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ | 55 | 136 |
| ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ | 93 | 134 |
| ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ...﴾ | 106 | 134 |
| ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ | 107 | 136 |
| ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ | 108 | 136 |
| ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ | 124 | **72** |
| ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ | 135 | 56 |
| ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ | 135 | 56 |
| ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ | 199 | 91 |
| ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ ...﴾ | 205 | 127 |
| ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ | 214 | 76 |
| ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ..﴾ | 229 | 121 |
| ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...﴾ | 230 | 121 |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ...﴾ | 254 | 122 |
| **سورة آل عمران** | | |
| ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ | 11 | 78-77 |
| ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ | 68-65 | 80 |
| ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ ...﴾ | 73 | 91 |
| ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ...﴾ | 77 | 141 |
| ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ...﴾ | 173 | 127 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾ | 187 | 105 |
| ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ...﴾ | 188 | 105 |
| **سورة النساء** | | |
| ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ....﴾ | **5** | 129/128 |
| ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم ...﴾ | 6 | 129 |
| ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ | 48 | 104 |
| ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ...﴾ | 127 | 77-76 |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ | 103 | 77 |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ | 21 | 104 |
| ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ...﴾ | 82 | 122/104/123 |
| ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ | 103 | 142 |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ... ﴾ | 57 | 18/19 |
| ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ | 143 | 142 |
| ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ...﴾ | 163 | 92 |
| **سورة الأنفال** | | |
| ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ...﴾ | 66 | 19 |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا ...﴾ | 24 | 123 |
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ...﴾ | 34 | 77 |
| ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ | 37 | 137 |
| ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ | 48 | 72 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ | 56 | 77 |
| ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ...﴾ | 75 | 77 |
| وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ...﴾ | 90 | 130-129 |
| ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا ...﴾ | 120 | 129/91 |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ | 77 | 75 |
| ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ ...﴾ | 106 | 122 |
| **سورة هود** | | |
| ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ | 6 | 91 |
| ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ | 24 | 76 |
| ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ | 73 | 132/131 |
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ...﴾ | 3 | 115 |
| ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ ... أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ | 82-81 | 92 |
| ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ...﴾ | 111 | 115 |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ | 32 | 90 |
| ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن ... ﴾ | 34 | 115 |
| **سورة النحل** | | |
| ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ | 1 | 72 |
| ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ | 18 | 115 |
| ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ | 101 | 134 |
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا﴾ | 59 | 136 |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا ...﴾ | 58 | 75 |

| | | |
|---|---|---|
| سورة مريم | | |
| ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ | 4 | 102 |
| ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ...﴾ | 86 | 18 |
| ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ | 71 | 123-122 |
| سورة الأنبياء | | |
| ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا ... ﴾ | 12-11 | 92 |
| ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا ...﴾ | 30 | 132 |
| سورة الحج | | |
| ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ...﴾ | 55 | 133 |
| ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ | 56 | 133 |
| ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج:73]. | 73 | 91 |
| سورة النور | | |
| ﴿...وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...﴾ | 31 | 136 |
| ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ...﴾ | 33 | 77 |
| سورة القصص | | |
| ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ | 48 | 135 |
| سورة لقمان | | |
| ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]. | 13 | /122/104 123 |
| سورة الأحزاب | | |
| ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ...﴾ | 18 | 77 |
| ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ...﴾ | 28 | 132/131 |
| ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ...﴾ | 33 | 133/130 |
| ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ | 34 | 131/130 |
| سورةالزمر | | |
| ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ | 62 | 90 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ...﴾ | 71 | 18 |
| ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ...﴾ | 72 | 18 |
| **سورة الأحقاف** | | |
| ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ ...﴾ | 10 | 126/125 |
| ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ...﴾ | 17 | 77 |
| **سورة ق** | | |
| :﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ | 21 | 18 |
| **سورة النجم** | | |
| ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ... فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ | 54-50 | 78 |
| **سورة القلم** | | |
| ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ | 51 | 75 |
| **سورة عبس** | | |
| ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ... أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ | 10-1 | 114 |
| ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ...﴾ | 41-38 | 140 |
| **سورة القيامة** | | |
| ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ | 23-22 | 141/139/142 |
| ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ | 25 | 140 |
| ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ | 30 | 18 |
| **سورة الغاشية** | | |
| ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ | 8 | 140 |
| **سورة العاديات** | | |
| ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ | 6 | 121 |
| ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ | 7 | 121 |
| ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ | 8 | 121 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار:

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| | |
| اذهب يا رافع إلى ابن عباس... | 104 |
| إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه... | 141 |
| العائد في هبته... | 95 |
| كانت عكاظ ومجنة وذو الحليف... | 124 |
| كانت قريش ومن دان دينها... | 124 |
| كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ ... | 123 |
| لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب ... | 123-122 |
| ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة ... | 124 |
| والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله... | 124 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم:


| العلم | الصفحة |
|---|---|
| -أ- | |
| الأخفش الأوسط | 60 |
| الأنصاري أبو سعيد بن المعلى | 123 |
| -ب- | |
| بشر بن المعتمر | 57 |
| البقاعي | 111 |
| -ج- | |
| الجاحظ | 56 |
| الجرجاني عبد القاهر | 45 |
| الجرجاني علي بن عبد العزيز | 48 |
| ابن جني | 58 |
| -خ- | |
| الخطاب | 47 |
| -ر- | |
| الراغب الأصفهاني | 60 |
| -س- | |
| سيبويه | 55 |
| -ع- | |
| أبو عبيدة | 44 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| ـ ف ـ | |
| الفراء | 44 |
| فيرث | 61 |
| ـ ق ـ | |
| ابن قتيبة | 47 |
| ـ م ـ | |
| مالينوفسكي | 61 |
| المشدالي | 111 |
| ابن المقفع | 47 |
| ـ و ـ | |
| الواسطي | 47 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# خامسا: قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق وتعليق: فواز أحمد زمرلي، (بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ط:1، 1419هـ-1999م).

2- الحق الدامغ، أحمد حمد الخليلي، (دون ناشر).

3_الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ، علي الفقيهي، (المدينة النبوية، دار المآثر للنشر والتوزيع، ط:2، 1422هـ_2001م).

4-أسباب النزول، الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد أبو الحسن، (الجزائر، دار الضياء، قصر الكتاب، د.ط، د.ت)

5_الإستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق وتعليق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1 1415هـ-1995م).

6-الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر؛ أحمد بن علي العسقلاني، (القاهرة- مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1396هـ-1976م).

7-الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، (عمان-الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط:1، 1995م-1418هـ).

8-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، تخريج: محمد بن عبد العزيز الخالدي، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:2، 2003م-1424هـ).

9-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (بيروت-لبنان، عالم الكتب، د.ط، د.ت).

22-التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد الشريف (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط 1416هـ).

23-تفسير ابن كثير: ابن كثير؛ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (الجزائر- دار النشر للثقافة والتوزيع، د.ط، د.ت).

24-التفسير الكبير، (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، تحقيق: عماد زكي البارودي، (مصر المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت).

25-التفسير والمفسرون، الذهبي؛ محمد حسين، (د.ط، د.ت).

26-تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (بيروت-لبنان، دار المعرفة، د.ط، 1414هـ-1993م).

تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (بيروت_لبنان، دار المعرفة، ط:2، د.ت).

27-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير ، (بيروت-لبنان، دار الفكر د.ط، 1398هـ-1978م).

28-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري؛ محمد بن جرير، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:2، 1373هـ-1954م).

29-الجامح لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1 1408هـ-1988م).

30-الجامع الصحيح: مسلم، أبو الحسن محمد بن الحجاج القشيري، (بيروت-لبنان، دار الفكر).

31-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، (المكتبة العلمية، د.ط د.ت).

32-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت-لبنان، دار الهدى ط:2، د.ت).

33-الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق)، خلود العموشي، (الأردن، عالم الكتب الحديث، ط:1، 1426هـ-2005م).

34-دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، (جدة، دار المدني، ط:3، 1413هـ-1992م).

35-دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، (مكتبة الأنجلو المصرية، ط:6، 1991م).

36-سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (بيروت- لبنان، دار الفكر، ط: 2، 1403هـ-1983م).

37-سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تحقيق: محمود شاكر، (بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1427هـ-2006م).

38-الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر،(د.ط، د.ت).

39-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (الجزائر- دار الشهاب، د.ط، د.ت).

40-العربية والنص القرآني، عيسى شحاتة عيسى علي، (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2001م).

41-علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، (القاهرة ، عالم الكتب ط:3، 1992م).

42-علم اللسانيات الحديث، عبد القادر عبد الجليل، (عمان-الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط:1، 2002م-1422هـ).

43-علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، (مصر، د.ن، ط:2، 1406هـ-1986م).

44-علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ، القاهرة ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 1421هـ-2000م.

45-علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، عدنان محمد زرزور، (عمان-الأردن، دار الأعلام، ط:1، 1426هـ-2005م).

46-عن البحث الدلالي العربي، محمد غاليم، (وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987م، الرباط اللسانيات في الأقطار العربية، بيروت-لبنان، دار الغرب، ط:1، 1991م.)

34-دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، (جدة، دار المدني، ط:3، 1413هـ-1992م).

35-دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، (مكتبة الأنجلو المصرية، ط:6، 1991م).

36-سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (بيروت- لبنان، دار الفكر، ط: 2، 1403هـ-1983م).

37-سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تحقيق: محمود شاكر، (بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1427هـ-2006م).

38-الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر،(د.ط، د.ت).

39-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (الجزائر- دار الشهاب، د.ط، د.ت).

40-العربية والنص القرآني، عيسى شحاتة عيسى علي، (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2001م).

41-علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، (القاهرة ، عالم الكتب ط:3، 1992م).

42-علم اللسانيات الحديث، عبد القادر عبد الجليل، (عمان-الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط:1، 2002م-1422هـ).

43-علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، (مصر، د.ن، ط:2، 1406هـ-1986م).

44-علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ، القاهرة ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 1421هـ-2000م.

45-علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، عدنان محمد زرزور، (عمان-الأردن، دار الأعلام، ط:1، 1426هـ-2005م).

46-عن البحث الدلالي العربي، محمد غاليم، (وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987م، الرباط اللسانيات في الأقطار العربية، بيروت-لبنان، دار الغرب، ط:1، 1991م.)

47-فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:3، 1408هـ-1987م).

48-فقه اللغة وعلم اللغة، محمود سليمان ياقوت، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط 1995م).

49-في ظلال القرآن، سيد قطب، (بيروت-لبنان، القاهرة، دار الشروق، ط:11، 1405هـ-1985م).

50-القاموس المحيط: الفيروز أبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:6، 1419هـ-1998م).

51-القراءة في الخطاب الأصولي (الإستراتيجية والإجراء)، (إربد-الأردن، عالم الكتب الحديث، ط:1، 2007م).

52-القرآن بين اللغة والواقع، سامر إسلامبولي، (دمشق-سوريا، الأوائل للنشر والتوزيع، ط:1، 2005م).

53-قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد بن عثمان السبت، (القاهرة-مصر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط:1، 1421هـ).

54-الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان أبو البشر، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:3، 1408هـ-1988م).

55-كتاب الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، (حيدرآباد الدكن-الهند، دائرة المعارف العثمانية-مؤسسة الكتب الثقافية، ط:1، 1403هـ-1983م).

56-الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط 1996م.

57-الكليات، أبو البقاء الكفوي، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1413هـ-1993م).

58-كيف نتعامل على القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1403هـ-1983م).

59-اللغة و أنظمتها، نادية رمضان النجار، مراجعة: عبده الراجحي (الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، د.ط، د.ت).

60-لسان العرب: ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن يعقوب، (بيروت-دار التراث العربي).

61-مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:2 1420هـ-1999م).

62-مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، (دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، دار الفكر،ط:1416،1هـ-1996م.)

63-مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ضبط وتخريج وتعليق: مصطفى ديب البغا، (عين مليلة-الجزائر، دار الهدى، ط:4، 1990م).

64-المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، يوسف القرضاوي، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1416هـ-1996م).

65-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي جلال الدين، شرح وضبط وتعليق: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت-لبنان، دار الجيل، د.ط، د.ت).

66-مسالك الدلالة بين اللغويين و الأصوليين، عبد الحميد العلمي، (فاس، مطبعة أنفو برينت، ط:1، 1421هـ-2000م).

67-المستصفى من علم الأصول، الغزالي أبو حامد، (مصر، المطبعة الأميرية، د.ط، 1322هـ).

68-المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة ط:1 ،1417هـ-1996م).

69-معجم المفسرين (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، عادل نويهض، (مؤسسة نويهض الثقافية، ط:1، 1403هـ-1983م).

70-المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1 1413هـ-1993م).

71-المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي، راجي الأسمر، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1421هـ-2001م).

72-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر ، د.ط د.ت).

73-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، (دار الفكر، د.ط 1979م).

74-المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، (دار الفكر، د.ط، د.ت).

75-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني (بيروت-لبنان ، دار المعرفة، د.ط، د.ت).

76-مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن تيمة، تقي الدين، (الجزائر، دار الفجر، ط:1 1422هـ-2001م).

77- المناسبة في القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ و السياق)، مصطفى شعبان عبد الحميد، ( الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 1428هـ-2007م).

78- من أسرار التعبير القرآني صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، (الرياض، دار المريخ للنشر، د.ط، 1403هـ-1983م).

79-مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، (بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ط:3، 1419هـ-1999م).

80-منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، عبد الحميد العلمي، (المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 1422هـ-2001م).

81-الموافقات في أصول الشريعة ، أبو اسحاق الشاطبي، المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان،ط1417،1هـ-1997م.

82-الموسوعة العربية العالمية، م. المدروان، (الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط:2، 1419هـ-1999م).

83-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت-لبنان، د.ط، دت).

84-نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، وليد محمد مراد، (دمشق-سوريا، دار الفكر، ط:1، 1403هـ-1983م).

85-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين البقاعي،مراجعة: عبد الرزاق غالب المهدي،(بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1415هـ-1995م).

86-النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرزاق، (دار الطباعة المحمدية، ط:1، 1403هـ-1983م).

87-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت: إحسان عباس، (بيروت- دار صادر).

89-qahtan1 @ yahoo.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# سادسا: فهرس الموضوعات:

مقدمة..... أ

## الفصل الأول: تحديد المصطلحات

**المبحث الأول:** تعريف السياق القرآني..... 17

المطلب الأول: السياق في اللغة ..... 17

المطلب الثاني: كلمة السياق في القرآن..... 18

المطلب الثالث: السياق في الاصطلاح..... 20

أولا-تعريف محمد التونجي..... 20

ثانيا-تعريف عبد العال سالم مكرم..... 22

ثالثا-تعريف مصطفى شعبان عبد الحميد وحلمي خليل..... 24

المطلب الرابع: نسبة السياق إلى القرآن..... 29

**المبحث الثاني:** التفسير وعلاقته بالتفسير..... 32

المطلب الأول: تعريف التفسير..... 32

المطلب الثاني: علاقة التفسير بالسياق..... 35

**المبحث الثالث:** مفهوم الدلالة..... 37

المطلب الأول: الدلالة في اللغة والاصطلاح..... 37

أولا- من حيث اللغة..... 37

ثانيا- من حيث الاصطلاح..... 38

المطلب الثاني: مفهوم دلالة السياق القرآني..... 39

**نتائج الفصل الأول**..... 40

## الفصل الثاني: السياق في الدراسات اللغوية

**تمهيد** ..... 43

**المبحث الأول:** السياق في الدراسات اللغوية العربية القديمة ..... 44

المطلب الأول: ارتباط الدراسات اللغوية العربية القديمة بالقرآن..... 44
المطلب الثاني: نظرية النظم وعلاقتها بالسياق..... 47
أولا-تطور فكرة النظم..... 47
ثانيا-نظرية النظم..... 48
المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية القديمة بالسياق..... 55
**المبحث الثاني:** السياق في الدراسات اللغوية العربية الحديثة..... 61
المطلب الأول: مدرسة "فيرث" الحديثة ونظرية السياق..... 61
المطلب الثاني: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بنظرية السياق..... 66
المطلب الثالث: اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة بالسياق القرآني.... 73
**نتائج الفصل الثاني**..... 84

**الفصل الثالث: السياق في الدراسات الأصولية وعلوم القرآن والتفسير**

تمهيد..... 88
**المبحث الأول:** السياق في الدراسات الأصولية ..... 89
المطلب الأول: الشافعي والتأسيس لدلالة السياق في الدراسات الأصولية..... 89
المطلب الثاني: اهتمام الأصوليين بدلالة السياق..... 95
المطلب ا لثالث: الشاطبي والتقعيد لدلالة السياق في الدراسات الأصولية..... 100
**المبحث الثاني:** السياق في علوم القرآن والتفسير..... 107
المطلب الأول: السياق وعلاقته بعلوم القرآن..... 107
المطلب الثاني: السياق وعلاقته بالتفسير..... 117
المطلب الثالث: نماذج من اهتمام المفسرين والدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني..... 127
الفرع الأول: نماذج من اهتمام المفسرين بتوظيف السياق القرآني..... 127
النموذج الأول: ابن جرير الطبري في تفسيره..... 127
النموذج الثاني: القرطبي في تفسيره..... 130

النموذج الثالث: محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره..... 131
النموذج الرابع: محمد عبده من خلال ما رواه عنه محمد رشيد رضا..... 134
الفرع الثاني: نماذج من اهتمام الدارسين للقرآن بتوظيف السياق القرآني..... 136
النموذج الأول: سامر إسلامبولي ..... 136
النموذج الثاني: أحمد حمد بن سليمان الخليلي ..... 139
نتائج الفصل الثالث ..... 144
الخاتمة ..... 148

**الفهارس**

فهرس الآيات ..... 153
فهرس الأحاديث والآثار ..... 158
فهرس الأعلام المترجم لهم..... 159
فهرس المصادر المراجع ..... 161
فهرس الموضوعات ..... 169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية